

مجلة

الشؤون الاجتماعية

تصدرها شهريا وزارة الشؤون الاجتماعية

(بالمجان)

مدير التحرير : حسن الشريف : تليفون ٨٥٣١٢

القاهرة

طبعت بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٤٢

فهرس العدد

صفحة	
٣	افتتاح مدرسة الخدمة الاجتماعية الأستاذ عبد الحيد بك صيد الحق
٧	النشاط الاجتماعى لوزارة الشؤون
١٤	جهود وزارة الصحة
٢١	الانجاء القومى للتعليم الأستاذ سيد قطب
٢٨	إنقاذ الطفولة المشرقة
٣٣	المبادئ الأولى فى مكافحة الغلاء
٣٩	الألبان وانتفاع الفلاح بها فى مزرعته الدكتور محمد أمين السكى
٤٢	الخيالات الباطنة الأستاذ محمد فريد إبراهيم
٤٦	جيش الخلاص الأستاذ عماد الدين عبد الحيد
٥٠	بين السكوخ والقصر
٥١	البيت الذى لا يتهدم الأتمة زينب محمد حسين
٥٦	بين الترجمان وعشش القروء الأستاذ محمد عبد الكريم
٦١	نشد دار كفالة الفتاة الأستاذ الصاوى شعلان
٦٢	أهم الأمراض الاجتماعية
٦٧	"تشجيع الانتاج العلى والعقل الأستاذ مصطفى الصاوى
٧٥	فى سبيل العيش (قصة اجتماعية)

افتتاح العام الدراسى

بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية

لحضرة صاحب المعالى الاستاذ عبد الحميد بك عبد الحق
وزير الشؤون الاجتماعية

”ألقى معالى وزير الشؤون الاجتماعية هذه الكلمة القيمة في حفلة
افتتاح العام الدراسى لمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية.“

سيداتى وسادتى

أشكر لحضرات القائمين على هذا المعهد دعوتهم لىاى لإلقاء كلمة في حفلة افتتاح العام
الدراسى لذلك المعهد الذى يؤدى أجل الخدمات للمجتمع المصرى .

ولست أنكر عليكم أنى حينما توليت وزارة الشؤون الاجتماعية سمعت دعايات ضد هذا
المعهد وضد مجلة الشؤون الاجتماعية ، حتى هممت أن أقرر وقف صدور المجلة وعدم التعاون
مع المعهد ؛ ولكن لم يمض إلا القليل حتى تبين أن مدرسة الخدمة الاجتماعية ومجلة الشؤون
الاجتماعية هما من الأدوات الهامة التى تعتمد عليها الوزارة في أداء رسالتها . فالمدرسة أساس
لدراسة المسائل الاجتماعية دراسة علمية منظمة مفيدة . والمجلة معرض للإرشاد الاجتماعى
المثمر وللآراء والمقترحات القائمة على دراسة المجتمع المصرى دراسة واقية .

حضرات السادة

لقد قرأت كثيرا من التعريفات التى تحدد معنى الخدمة الاجتماعية . أما تعريفها عندى
فهى المروءة تتجلى في ميدان الخدمة العامة ، تلك المروءة التى تحمل صاحبها على محاولة النهوض
بالمجتمع المصرى الذى يشيع في أرجائه المرض والفقر والجهل ، والكثير من العادات والتقاليد
السيئة مما يتعرض معه لشر الأمراض الاجتماعية التى تقلق بال المصلحين ومن يهمهم مستقبل
هذه البلاد .

وإذا كانت الخدمة الاجتماعية في مصر ضرورة كبرى ، فإن قيام هذا المعهد وأمثاله
ضرورى كالخدمة ذاتها ، بل هو السبيل إلى قيام هذه الخدمة على أسس صحيحة بإعداد
جيل يضطلع بأعباء الإصلاح الاجتماعى عن خبرة وبصيرة .

وإيس أدل على ضرورته وعلى سمو فكرته وشرف وجوده من أنه كان من عمل جماعة
وقفت جهودها لخدمة الوطن ، ابتغاء مرضاة الله والوطن ، دون تدخل من حكومة
ولا استئمانه بأحد إلا وحي الضمائر الحية . أى أن معهد الخدمة الاجتماعية كان من عمل
القائمين بالخدمة الاجتماعية .

ولا يفوتني أن أوجه لثناء وإعجاب إلى مدرسة الخدمة « لاسكندرية فهي كشقيقتها مدرسة القاهرة كانت من وحي الصميم اظاهر والشعور البيل .
حضرات السادة

إن التخصص في الخدمة الاجتماعية أمر ضروري سواء لمن يرغبون في اتخاذه مهنة أو للتطوعين الذين يأتسون في أنفسهم ميلا إليها ، لأن العمل الذي لا يقوم على أساس الدراسة العلمية قما ينفع وكثيرا ما يضر .

لذلك يجب إدخال هذه الدراسة ضمن مناهج المعاهد التي تتصل عن قرب أو بعد بالخدمة الاجتماعية ، فتكون مادة أساسية في دراسات الأزهر الشريف ومدارس المهنيين وفي كليات الطب والحقوق والبوليس ، فإن خريجى هذه المعاهد يتولون في الغالب وظائف تجعلهم أقدر من سواهم على تندية الرسالة الاجتماعية .

على أنى مهما كانت ثقتي كبيرة في آثار الخدمة الاجتماعية المنظمة ، ومن بأن الفقر هو دأؤنا الأول . إنى لا أخشى أن أقول : إن أكثر الفلاحين لا يجهلون أن النظافة من الإيمان . ولكنهم لا يجدون الوسيلة إلى المال الذى ييسرهم أسباب النظافة . وإنى لأؤكد أن الفلاح لا يجهل أن البعد عن بقرته وقت النوم نعمة ؛ ولكنه لا يجد الوسيلة إلى المال الذى يهئ به سريرا لنفسه ، وحظيرة للبقرة بعيدة عنه .

إن الفلاح لا يجهل أن لعداء الطيب يفيد صحته ، وإنه ليفهم أن أكلة مكونة من اللحم والخضار والحلوى هي أكلة شبيهة مفيدة ؛ ولكنه لا يجد الوسيلة إلى المال الذى يهئ له هذه الأكلة .

ونسى في حاجة إلى القول بأن معظم أثريائنا الذين يعيشون عيشة الترف والأبهة إنما هم ريفيون صميمون ، ولكنهم وجدوا المال فاستطاعوا أن يحققوا لأنفسهم بأهمهم ما نرغب نحن في تحقيقه للفلاح عن طريق الخدمة الاجتماعية .

لذلك يجب أن تكون الرسالة الاجتماعية في مصر هي محاربة الفقر بكافة الطرق وتبثية الرأي العام لتحقيق العدالة الاجتماعية . والاتجاه بالتشريع والسياسة المائية نحو هذا الغرض .

وإلى أن تحقيق هذه العدالة يتلخص فيما يأتى :

(أولا) يجب أن تفرض الضرائب غير المباشرة بمنأية وحذر حتى لا تحمل جمهور الفقراء عبء الضرائب ، وحتى لا نغرق نمو الصناعة القومية .

(ثانيا) يجب أن نفكر جديدا في إصلاح الأراضي البور مهما كلفنا هذا الإصلاح ، وتوزيمها على صغار الفلاحين حتى نغني الطبقة المتوسطة التي هي أساس الرفاهية والاستقرار في جميع الأمم . وقد أعدت وزارة الشؤون الاجتماعية مشروع قانون لتحقيق هذا الغرض .

(ثالثا) تجب العناية بالصناعة لأن الأمة التي تعتمد على الزراعة فقط هي أفقر الأمم مهما تحسنت طرق الإنتاج ، ومن الخير أن يفكر المالئون في إنشاء بنك تسليف صناعي .

(رابعا) يجب أن يكون أساس الضرائب هو التصاعد حتى تتحقق العدالة الاجتماعية في تحمل كل فرد نصيبا يتناسب مع قدرته المالية ، وقد خطت الحكومة خطوة موفقة بتخفيف الضرائب عن هاتق صغار الملاك .

(خامسا) تحقيق الضمانات الاجتماعية ضد المرض والشيخوخة . وهو المشروع الذي تدرسه وزارة الشؤون الاجتماعية . وهذا ما حدا بوزارة الشؤون الاجتماعية إلى أن تحصل على اعتماد من البرلمان بمبلغ ٢٠ ألف جنيه لإعانة العمال .

ويهمني أن أبين لكم أنى قصرت الإعانة على ذوى العاهات أو الذين أصيبوا بمرض معجز أو الذين تعدوا الخامسة والستين ، حتى لا أشجع على استمراء التعطل ، وحتى لا أفتح بابا للاحتيال .

(سادسا) تنظيم الإحسان بحيث يستند إلى مورد ثابت تقوم على أساسه المبرات الاجتماعية ، وهذا ما حدا بوزارة الشؤون الاجتماعية إلى وضع مشروع الزكاة الذي ستقدمه للبرلمان آملين أن يكون فيه بعض العلاج لعيوب المجتمع الحاضر ، ومظهرا للتضامن الاجتماعي بين الأغنياء والفقراء .



ثم أعود إلى الإصلاح الاجتماعي والإرشاد الذي هو المهمل لهذا الإصلاح فأقول : إن إنشاء أنظمة جديدة قد يكاف الدولة مبالغ لا قبل لها بها ، وقد يكون هذا سببا في إطالة الوقت إلى أماد بعيدة قبل استكمال هذه الأنظمة ، لهذا فكرت أن نلجأ إلى إصلاح النظم القائمة فعلا والاستعانة بكل أداة وكل هيئة تتصل بالإرشاد الاجتماعي .

وقد فكرت فوجدت أن جماعة الطرق الصوفية هي من أبعد الهيئات أثرا ونفوذنا في أوساط الريف ، وأنا نستطيع تعديل لأمتها بما يضمن توجيهها توجيها صحيحا إلى الإرشاد الاجتماعي . ومنفعل ذلك إن شاء الله .

ولن نألو جهداً في الانتماع رجال الأزهر وطلابه ، وبالتعليم الإلزامي ورجاله في هذه المهمة الكبيرة ، فهم منتشرون في كل مكان ، فإذا أشرىوا روح الخدمة الاجتماعية ودرسوا وسائلها كانوا أداة نافعة لأنهم يستطيعون أن يقيموا الإرشاد الاجتماعي على أساس من الدين وهو عامل قوى الأثر في النفوس .

كذلك فكرت فوجدت أن المفاهي البلدية إن هي إلا متدييات قريبة الشبه بالنوادى لأن لكل قهوة رواداً اعتادوا التردد عليها حتى ليغفل الرجل طيلة حياته مخلصاً انقهوة التي ألفها . ومن مزايا هذه المفاهي أن لا نمر فيها ، فهي تصلح أن تكون متدييات اجتماعية إذا أدخلت إليها وسائل الإرشاد الاجتماعي والثقافي في صورة مشوقة .

ولهذا اتفقت وزارة الشؤون الاجتماعية مع بعض الأدباء على وضع قصص بلغة شعبية عن تاريخ مصر تتضمن الارشاد الاجتماعي في ثناياها على طريقة قصص (أبو زيد الحلالى) المحبوبة من رواد هذه المفاهي .

* *

يا معشر الشباب :

إن المؤسسات الاجتماعية هي على اختلافها حدة وزارة الشؤون الاجتماعية في جهادها ، وإني لأهيب بشبان هذه المؤسسات جميعاً أن يضاعفوا جهودهم ويضمحوا صفوفهم لتحقيق آمال المصلحين في هذا الوادى العريق ، فيصبحوا حيش الخلاص الذى نعقد عليه الآمال في السير بهذا البلد إلى الأمام .

عبد الحميد عبد الحق

للإمام على كرم الله وجهه :

— لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في ثلاث : في نكته وغيبته ووفاته

— كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والظما ، وكم من قائم ليس له من قيامه

إلا السهر والعناء .

النشاط الاجتماعي لوزارة الشؤون الاجتماعية

مطاعم الفقراء - نوادى العمال الرياضية - المقاهى الشعبية - الاختصاصيون
الاجتماعيون - شروط إنشاء العزب - توزيع الاراضى الحكومية

(١)

فى وقت من الأوقات كانت قصة " مطاعم الشعب " هى المقدمة بين الفصص التى
تلكها الألسنة وتنال اهتمام السلطات فى مصر ، وإذا اهتمت السلطات بمشروع ما ، كان
هذا إيذاناً باهتمام جماعه من الأثرياء ، يرقبون دائماً مواقع رضى هذه السلطات !

ثم هبطت حرارة هذا الاهتمام ، واسدل الستار أو كاد على قصة " مطاعم الشعب " ،
فأقلل بعضها وعجزت ميزانية البعض الآخر عن تقديم وجبات الطعام لعدد كبير من الفقراء ،
وهم أحوج ما يكونون لهذه الوجبات المغذية الرخيصة ، ولا سيما فى مثل الأوقات الحاضرة ،
لولا أن قبض الله لهذه المطاعم اهتمام وزير الشؤون الاجتماعية بها فى هذه الأيام ، فكان هذا
إيذاناً بعودة الحياة إليها والتوسع فيها وخلقها خلقة جديدة .

فلقد زار معالى وزير الشؤون الاجتماعية مدينة الاسكندرية ، وفى يوم ٢٤ أكتوبر اجتمع
معاليه مع رجال الأعمال بها للبحث فى شؤون العمال وما تقضى به الحال لمناسبة صدور القانون
القاضى بالاعتراف بنقاباتهم من إنشاء جمعيات تعاونية لهم والاهتمام بتحسين أجورهم وتيسير
حصولهم على ما يحتاجون إليه من المواد الضرورية بأسعار معتدلة .

ثم طلب معاليه إلى رجال الأعمال المساهمة فى توسيع نطاق مطاعم الفقراء فى أحياء
المدينة مساعدة لهم فى الظروف العسيرة الحاضرة ، فأيدوا هذه الرغبة مظهرين استعدادهم
لتنفيذها ثم عاد فى ٢٩ منه واتفق معهم على إعداد مشروع لهذا الغرض تشترك فيه وزارة
الشؤون الاجتماعية ومحافظ المدينة ومدير البلدية .

ودب النشاط كذلك فى القاهرة حول هذا المشروع مما يؤذن بنجاح الدعوة وتيقظ الهمة
وتوفير عدد من المطاعم يكفى للمساهمة الحقيقية فى تغذية الفقراء بأثمان زهيدة مستطاعة .

وقد اتخذت الأبهة لافتاح عدد كبير من المطاعم في كل من العاصمتين يكفى لعدد من هم في حاجة إليها ممن يقل إيرادهم عن جنيه ونصف الجنيه في الشهر .

ومطاعم للشعب أو مطاعم الفقراء ضرب من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة الآن في العالم المتقدم ، ومصر أولى بلاد العالم أن تأخذ بهذا الضرب من الخدمة .

ومن الأسف أن الذين يحتاجون إلى التغذية في مصر هم المستجرون ، هم العامل والصانع وأمثالهم ممن يقوم انتاجهم على الطاقة العضلية في الغالب ، هذه الطاقة التي تنتجها الكمية الغذائية ، والتي تنقص كلما نقص الغذاء ، فتتقص معها القدرة على العمل .

وهذه الطبقات المحتاجة إلى الغذاء في مصر هي التي تخصص لها في إنجلترا جناية إضافية — بعد توزيع الطعام بالبطاقات — جناية لا ينالها الأثرياء والمترفون هناك ، لأن الأثرياء والمترفين لا ينتجون ، ولا يبذلون طاقة جثمانية كبيرة ، فيجب تبعاً للمنطق والعدل والمنفعة أن يحصل العامل على الجناية الإضافية دون الطبقات العليا ، وهذا ما تصنعه بلاد الديمقراطية الحقيقية .

ومع تخصيص جناية إضافية للعامل هناك ، فإن عمال الصناعات الثقيلة وعمال المناجم يتمتعون فوق ذلك بوجبة إضافية مجانية تنظرهم على أبواب المصانع ، وعلى مداخل المآجم ، عن طريق جماعات الخدمة الاجتماعية زيادة في رعايتهم ، وفي توفير الغذاء لهم ، وتمكينهم من بذل الجهد المطلوب منهم .

ونحن لانطمع في مثل هذه الحال ، ولكن أقل ما نطمع فيه أن تنتشر مطاعم الشعب بحيث تكفى جميع من يقصدونها من العمال والفقراء ليتناولوا فيها وجبة مغذية في مقابل مبلغ صغير تحتمله ميرانياتهم الضئيلة . وفي سبيل ذلك الخير المحدود فليتنافس المتنافسون .

(٢)

والمشروع الثاني الذي يتم به معالي الوزير ويعني به عناية خاصة هو مشروع نوادي العمال الرياضية ، هذه النوادي التي يريد استخدامها أداة لتصحيح الأجسام ، وتنوير العقول ، وتهذيب الأخلاق ، بين هذه الطبقات الهاملة التي يحجبها ويهطف عليها ويحفل بكل شأن من شؤونها .

وقد بذل نفوذه في دوائر الأعمال المصرية والأجنبية لينهض أصحاب الأعمال بمساعدة عمالهم في إنشاء هذه النوادي وتجهيزها وإعدادها للانتفاع بها على الوجه المتقدم ، بدل أن يحاً هؤلاء العمال إلى الحانات والمقاهي الفاسدة ، حيث يقتلون صحتهم الضعيفة ويعترون إيرادهم الضئيل ، ويزدادون جهلاً وفساداً واضمحلالاً .

ونوادي العمال — والنوادي الشعبية عامة — هي ضرب آخر من ضروب الخدمة الاجتماعية المنتشرة في العالم المتقدم ، وهي هناك لا تقتصر على مجرد تملصية الفراغ تملصية لاثقة ، بل هي عامل من العوامل الإيجابية في ترقية العامل وتزويده بقط من الثقافة أو قسط من التدريب الفني . مما لم يتأ له في حياته العملية بسبب حاجته إلى العمل والكسب ، قبل تزوده بما يكفيه من الثقافة في التدريب .

وفي كثير من هذه النوادي — بجانب الألعاب الرياضية والتسلية البريئة والمحاضرات العامة — حجرات خاصة للدراسة الثقيفية في مختلف أنواع الثقافة النظرية والعملية ، وحجرات أخرى للتدريب الفني على كثير من أنواع الفنون والصناعات ، بأجور زهيدة ، أو بغير أجر مطلقاً .

فالنادي على هذه الصورة ملعب رياضي ، ومكان للتساية ، ثم هو فوق ذلك مدرسة للتوير والتثقيف ومشغل للتدريب والمرانة ، وبجال للرق الأدبي والمادي ، ومصححة بدنية وروحية في آن واحد .

وفي البلاد الأوروبية والأمريكية تتنوع هذه النوادي ، فمنها أندية العمال ، ومنها أندية الصبيان العمال ، ومنها الأندية الشعبية .

فأما أندية العمال ، فهي إما أندية خاصة بطوائف معينة من العمال تنشأ النقابات الخاصة وإما أندية عامة لجميع الطوائف ينشأ اتحاد النقابات ، وهي في كلتا الحالتين تعمل على أن يمضي المشتركون فيها أوقات فراغهم في رياضة نافعة أو تسلية بريئة ، أو ثقافة مفيدة .

وأما أندية الصبيان العمال فتقوم بمهمة إضافية فوق ذلك كله وهي رعاية أخلاق الصبيان العمال الذين تتراوح أعمارهم بين الرابعة عشرة والثامنة عشرة ، لأنهم في هذه السن الخطرة من المراهقة عرضة لمختلف التيارات الفاسدة ، ثم هم في الوقت نفسه في حاجة إلى استكمال ثقافتهم ومرآتهم العملية .

وقد قام بإنشاء هذه النوادي في إنجلترا متطوعون متحمسون للخدمة الاجتماعية ، وأخيراً اتحدت هذه الأندية التي يبلغ عددها أكثر من ألف وسبعائة ناد تضم نحو ١٦٠,٠٠٠ عضو ، وصدرت الحكومة الإنجليزية قانوناً يعترف لها بشخصيتها المعنوية .

ويضم كل ناد مكتبة للطالعة والاستعارة ، وغرفا خاصة بالألعاب التسلية ، ومطعم لتناول وجبات خفيفة بأثمان زهيدة ، وحجرات للتدريب العملى على الصناعات المختلفة ، وللثقافة النظرية والفنية .

وأما الأندية الشعبية العامة فهى مباحة للجميع من يقصدها من أفراد الشعب عمالا وظيفيين وعمال وأغراضها تلخص فى محاولة الترفيه عن الطبقات الشعبية بمختلف وسائل السمر والتسلية والعمل على رفع مستواهم الفكرى والخلقى بالمحاضرات والاطلاع بمكتبة النادى ، ودرس مشاكل الحياة الخاصة بروادها وبالخلق الذى تنشأ فيه ، ومساعدة مكان الخلق بالزيارات الصحية والإرشادات الاجتماعية والعائلية .

ونحن لا نطمح — مؤقتا — فى أن تصل النوادى المزمع تعميمها إلى هذا المستوى الرفيع الذى حياته المساعدات المادية وقوة الروح الاجتماعية لنوادى إنجلترا أو سواها ، ولكننا نطمح فى انتشار هذه النوادى وانتشار الرياضة البدنية معها وتمضية أوقات الفراغ فيما يفيد أو فيما يسلى تسلية بريئة ، والمستقبل كفيل بما بعد هذا من الخطوات الأخرى .

(٣)

وفى مصر أندية شعبية من نوع آخر ، وهى تلك المقاهى الشعبية ، التى يأوى إليها المئات كل ليلة من مختلف الطوائف العالمة وسواها ، ويقضون فيها أربع ساعات على الأقل كل يوم إن لم يكن أكثر من ذلك .

وقد رأى وزير الشؤون أن يتفع بهذه النوادى فى مهمة وزارته الإصلاحية العامة ، وفى كلمة له ألقاها بالاسكندرية ، ذكر أنه فكر فى جعل هذه المقاهى مراكز اجتماعية لانهاض العامة ، وعلى هذا الأساس اتفق مع الأستاذ بيرم التونسى على وضع تاريخ مصر فى أسلوب شبيه بقصص " أبو زيد " يلقىها الشعراء على نغم الرباب فى المقاهى العامة .

فهذا وزير يفهم بلده حق الفهم ، وقد سبق أن تحدثنا عن فهمه هذا فى تحليل عوامل الحرية فى مصر عند الكلام عن إصلاح السجون فى عدد سابق ، وهذا الفهم نفسه هو الذى أوحى إليه أن يتجه هذا الاتجاه فى استخدام المقاهى الشعبية وهو أفضل اتجاه وأنفعه بالنسبة إلى جمهور العوام .

والذين عاشوا فى الجليل الماضى وفى أوائل الجليل الحاضر يذكرون تلك الصورة التى اختفت الآن مع الأسف صورة " الشاعر ذى الرابطة " يعتلى المنصة الخشبية فى القهوة أو فى سوق القرية أو مصطفىها ، وروح يلقى بصوته الجمهورى قصص أبى زيد والوزير سالم وعنترة ، مع حركاته التمثيلية التى كان المستمعون يتابعونها بعيونهم وقلوبهم . ويتأثرون بها أشد التأثر .

ولقد كانت هذه القصص مصدر ثقافة عقلية وتربية خلقية ، ومثارا للنخوة والمروءة والشجاعة ، وملهاة بريئة عن مفاصد شتى ، وسمرا ظريفا تجتمع له الحلقات ، وتنفض في منتصف الليل لتنعقد في الليلة التالية ، والجمهور كله آذان وكله أشواق .

وحين نؤرخ النهضة الأدبية والشعبية سيجد " الشاعر " وربابته مكانا فسيحا يحتله في هذا التاريخ عند الحديث عن الثقافة الشعبية .

فإحياء هذه السنة بحث لصورة محبوبة توارت من الجلو المصرى ، وانتفاع بأحسن أدوات التسلية الشعبية في بث الثقافة التاريخية القومية .

وقد بدئ بوضع قصة عن عصر محمد على الكبير ، وقصة عن عهد الثورة المصرية فنجب أن تتنوع القصص ، وأن تتناول عصورا مختلفة وأمجادا مصرية كثيرة . فعصر رمسيس وعصر صلاح الدين وسواهما من العصور الفرعونية والاسلامية جدير بالتسجيل على هذه الوتيرة وجدير بال نشر في أوساط الجماهير .

ولنذكر أننا تكاد نفقد شخصيتها لأنها تفقد تاريخها ، وتدرسه في المدارس دراسة مسبئة الى الروح القومية ، دراسة سردية مفككة ، لا تفنى بتصوير الأجداد المصرية ولا بانهاض الروح الوطنية .

فها هي ذى فرصة سانحة لتدارك النقص الواضح في دراسة التاريخ بالمدارس ، ولتربية الروح القومية في نفوس الجماهير ، بقصص البطولة التي تنمض الهمة وتثير النخوة ، وتشغل الفراغ بتأثرات روحية عالية ، وتستخدم المفاهيم الشعبية في الخدمة الشعبية على أيسر سبيل .

(٤)

وقد أحرنا الحديث عن " الاخصائيين الاجتماعيين " لأن شأنهم أعظم من هذه الشؤون جميها ، ولأن وجودهم هو أساس الإصلاح الاجتماعى القائم على قواعد صحيحة . وفي هذا المعنى يقول معالى الوزير فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية :

" ان وزارة الشؤون الاجتماعية أنشئت لبناء المجتمع المصرى الذى يحتاج بناؤه الى أيد كثيرة وهدد عظيم من البنائين ، وهذا المجتمع يحمل كثيرا من أعباء الماضى ، ولذلك يجد المجاهدون فى سبيل اصلاحه مشقة عظيمة " .

ثم ذكر أن الأعمال الاجتماعية تحتاج الى كثير من المتخصصين ، وأن المنشآت الاجتماعية التى تديرها الوزارة كالملاجئ والسجون والاصلاحيات ، يعثرها كثير من النقص اعدم توافر الاخصائيين فيها ، وهو لذلك يعول كثيرا على عمل مدرستى الخدمة الاجتماعية فى الاسكندرية والقاهرة .

وهذه حقيقة واقعة، فالإصلاح الاجتماعى المنظم فى حاجة إلى الإخصائين الاجتماعيين وإلى الدراسات الاجتماعية ؛ وإلى الإحصاءات والتجارب القائمة على الخبرة، وإلا أضحت أعمالا ارتجالية لا ترتكز إلى قواعد علمية .

وسيمضى وقت طويل قبل أن يتبها للوزارة عدد وافر من هؤلاء الإخصائين .

لهذا يرى معاليه إنشاء مدارس اجتماعية فى المديرىات لتعليم مدرسى المدارس الإلزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ليكونوا مرشدين اجتماعيين متخصصين ، وأن فى مصر حوالى أربعة آلاف قرية و ٢٥ ألف عزبة وفى وسع هؤلاء المدرسين أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى الأقاليم ويوجهوا المجتمع وجهة جديدة .

والانتفاع برجال التعليم الإلزامى فى هذا الطريق ممكن وسهل وسريع، إلى أن يكثُر عدد المتخصصين الاجتماعيين وبقي بحاجة المنشآت جميعا ، ولكن المعلم الإلزامى منقل بالدروس وشاعر بالغبن المادى فى مرتبه ، فإذا أمكن الاتفاق مع وزارة المعارف على تخفيف عبء الدروس عن كاهله ولو قليلا ، وإذا أمكن أن يمنح مكافأة إضافية نظير قيامه بالخدمة الاجتماعية ، كان رسول إصلاح فى قرينه سهل الإعداد ، مبسرا للنفع فى بيئته المحدودة ، وبذلك تتحول المدارس الإلزامية إلى مراكز اجتماعية فى المساء كما أشار إلى ذلك وزير الشؤون.

(٥)

ومن مظاهر الاتجاه الاجتماعى الجديد فى التكافل الاجتماعى أن تعد وزارة الشؤون الاجتماعية مشروعا يقضى بوضع شروط خاصة لإنشاء العزب ، تتضمن وجوب إقامة دورات للياه ومغاسل فيها ، وإقامة بعض المنشآت لتحسين حالة الفلاح كالمراكز الاجتماعية.

وهو اتجاه واجب وإن كان يقتصر على العزب الجديدة التى تنشأ بعد إصداره ، وكان من الحق والعدل أن يشمل جميع العزب القديمة كذلك تحقيقا لأبسط مظاهر التضامن الاجتماعى بين الملاك المتفعين وعمالهم الزراعيين المتجين .

ولولا ضعف الروح الاجتماعية فى مصر لما احتاجت الدولة إلى سن مثل هذا التشريع لأن مصلحة الملاك البعيدة وحدها كانت كافية لأن ينهضوا بهذا الإصلاح ، بعد ما ثبت من التجارب فى مصر وأوربا أن الملاك وأصحاب الأعمال هم الراجحون فى النهاية من كل إصلاح اجتماعى أو صحى فى محيط فلاحيهم وعمالهم .

فقد بين بالتجربة أن المصانع التي تؤدي لعمالها بعض الخدمات الاجتماعية كإعداد المساكن الصحية والنوادي الرياضية وسواها ، تكسب من إنتاجهم المتزايد أكثر مما أنفقت .

وقد تبين من تجارب الجمعية الزراعية الملكية في عربتها النموذجيتين أنها هي الرابحة من زيادة إنتاج فلاحها وتوافر صحتهم ، وقوة مجهودهم في أرضها .

ونتأج هذه التجارب في الخارج وفي مصر يجعلنا نتفاهل خيرا ونرجو ألا تقام العراقيل في وجه الوزارة عند ما تمهم بسن هذا القانون العادل الكافل لمصلحة الفريقين : الملاك والفلاحين .

(٦)

ثم نتحدث عن أهم مشروع من مشروعات الدولة في هذا العام وهو اتجاه وزير الشؤون إلى تقسيم الأراضي الحكومية الصالحة للزراعة ومقدارها مائة ألف فدان إلى ملكيات صغيرة كل منها خمسة أفدنة وتوزعها على صغار الفلاحين .

وهو مشروع أكبر من أن نتحدث عن آثاره الطيبة في هذا الحيز الضيق ولكننا نكتفي بهذه الإشارة العاجلة هنا على أن نعود إليه بالشرح في كلمة مستقلة .

وبحالة ما يقال في هذا المشروع : أنه يساعد على خلق طبقة متوسطة من الزراع . هذه الطبقة التي تضمحل الآن وتتوارى لأن الملكيات الكبيرة تبطلها بينما الطبقة المتوسطة هي عماد الشعوب ووسيلة الاستقرار والتقدم .

وحين يتم هذا المشروع نخلق من العدم ٢٠,٠٠٠ ألف أسرة نرفعها من الحضيض إلى المستوى اللائق ، وهو عمل عظيم ولاشك ، جدير بالتسجيل في تاريخ الإصلاح .

وعلى أية حال فإن في هذا الاهتمام الذي يوزعه معاليه على كافة نواحي الإصلاح الاجتماعي ووسائله ما يبشر بالخير ويدعو إلى التفاؤل ، ونحن في مرحلة يجب أن نأخذ فيها بكل وسيلة من وسائل الإصلاح وتتعلق بكل خيط من خيوط الرجاء ، والله الموفق لما فيه الخير والفلاح .

جهود وزارة الصحة ومشروعاتها الجديدة

تطهير المنازل — محاضن الأطفال — مستعمرات السل —
تغذية فقراء أسوان — معايير غذائية

مشروع تحسين الصحة القروية هو المشروع الفذ الذى وضعت وزارة الصحة أساسه فى هذا العام ، وهو مشروع ضخم فصلنا الحديث عنه فى عدد سابق من هذه المجلة وأسميناه مشروع الموسم ، وقلنا : إن وزير الصحة الذى أخرجه الى حيز الوجود جدير بأن يلقب "وزير تحسين الصحة القروية" وهو لقب عظيم .

وفى اعتقادنا أن هذا المشروع وحده لو استغرق نشاط وزارة الصحة كله لكان حسب البلاد منها . ولكن فى وزارة الصحة فى هذه الأيام نشاطا محدودا غير محدود ، فهى تمد ببصرها الى نواح شتى ، منها هذه النواحى التى عنوانا بها لهذا المقال ، والتى سنخصص كلا منها بكلمة استعراضية قصيرة .

(١)

أعد حضرة صاحب العزة الدكتور عبد المجيد بك رمزى مقترح صحة العاصمة مشروعا لتنفيذه فى الأحياء الفقيرة من العاصمة وهو يقضى بتخصيص فرقة للتجول بهذه الأحياء وكفس المنازل القديمة الفقيرة وتطهيرها وتطهير الأثاث والملابس والأشخاص أنفسهم لوقايتهم من الأمراض .

وقد بدئ بتنفيذ هذا المشروع فى أواخر شهر أكتوبر فى منطقة " عيش الساقية " بحى السيدة زينب ، وهى منطقة ذات مساكن صغيرة وأزقة ضيقة ، وقامت بأعمال التنظيف فرقتان : تؤلف كل منهما من مبحر وأربعة عمال ، و " ماشطنان " يرافقهم ملاحظ أو بيئة ووزارة صحية .

وبدأت كل فرقة عملها بكفس المنازل وإزالة الفضلات منها ومن سطوحها ورش الفرف بالكبروسين المظاير وغيره من المواد القاتلة للحشرات ، ثم قامت بغسل أجسام السكان وتمشيط شعور النساء وتطهير الملابس وتبخيرها . حتى إذا انتهت أعمال التنظيف ألقي الملاحظ محاضرة بعبارة سهلة عن وسائل العناية بالنظافة حرصا على صحة السكان وصحة أطفالهم .

وقد قابل سكان هذه المنطقة تلك الحملة بالترحيب والاعتباط كما تقول جريدة الأهرام .
ثم زار مفتش العاصمة يوم ٢٩ أكتوبر أحياء الشماشجي والسمال ومنشية الصدر
والطرية للنظر في أمر تطهير منازلها بالطريقة المتقدمة وإنشاء البالوعات لتصريف المياه
المختلفة من الاستعمال والحفريات المجانية للشرب وستابع هذه الفرق عملها بعد ذلك في جميع
الأحياء الفقيرة .

وما من شك في أن العمل الذي يقوم به مفتش العاصمة عمل نافع لسكان هذه الأحياء
ولسواهم من سكان الأحياء الأخرى على السواء ، فقد ذكر عزته أن هذه المنازل القذرة هي
مصدر الحشرات التي تنشر الأوبئة ، فكثيرا ما يحدث أن يكون بعض الخدم مثلا -
وأكثرهم من سكان هذه الأحياء - مصابين بأمراض فيقلوا عدواها إلى بيوت مخدوميهم .
وبغض النظر عن هذا ، فإن سكان هذه الأحياء المساكين أصحاب حق أولى في النظافة
وفي الصحة التي يجب أن يكفلها المجتمع للجميع ، فإذا قصرت مواردهم الخاصة عن الاستمتاع
بحقهم في النظافة وحقهم في الصحة فيجب أن تقوم لهم الدولة - كما صنعت الآن - بتحقيق
ما تعجز عنه مواردهم الضئيلة .

إن هذه الأحياء التي لا يكاد يعرفها أحد ، هي بعض أحياء العاصمة ! العاصمة ذات
القصور الفخمة والأحياء الراقية ، والضواحي الجميلة ، وأبسط مبادئ المساواة أن تستمتع
هذه الأحياء المنبوذة بالضوء والهواء والنظافة ، فأما الضوء والهواء فهناك مشروع في وزارة
الوقاية طلبت له مليوناً من الجنيهات لشق شوارع وإنشاء فسحات أو ميادين في هذه الأحياء
ولعل المشروع أن يكون عاجل التنفيذ - وأما النظافة فهذا المشروع الذي يقوم به مفتش
العاصمة يحققها بعض التحقيق ، على أن يتكرر في الحى الواحد مرات كثيرة لا تزيد المدة
بينها على شهر وإلا عاد الفقر يلطخ هذه الأحياء بالقذارة من جديد !

على أن هذا المشروع المفيد في حاجة إلى تكلفة لا نحسبها قد غابت عن القائمين بالأمر
ولكن ضيق الميزانية هو الذي أقعدهم عنها . هذه التكلفة هي أن تحمل هذه الفرق معها
” كتيبات “ متقلة توزع فيها وجبة طعام ساخنة أو كمية من اللبن لتوزعها على أهالي
هذه الأحياء ولو ثلاث مرات في الأسبوع .

فالواقع أن سكان هذه المنازل الخيرية لا تنقصهم النظافة الأولية وحدها للحصول على الصحة ،
ولكن تنقصهم التغذية في أبسط صورها ، ومعظم هؤلاء السكان هم من صغار العمال والباعة
الجوالين والخدم ، ومعظمهم عاجز عن الغذاء المناسب البسيط ، وأطفالهم يذوون ويمرضون
بسبب الجوع أكثر من القذارة ، ومنهما معا . وقد يعجز بعضهم عن الحصول على
ما يساوى وجبة في مطاعم الشعب على رخصها ، فيجب أن ننحهم هذه الوجبة بالحبان .

وفي اعتقادنا أن هذه الوجبة الغذائية تقوم بدعاية جميلة لفرق التطهير بين جماعة السكان ، وإذا كان الأحمالي قد قابلوا فرقتي التطهير بمقابلة طيبة في بعض الأحيان ، فقد يستعصون عليها في أحياء أخرى ، وعندئذ تقوم الوجبة الساخنة أو كوب اللبن بفتح الطريق أمام المطهرين !

ومثل هذا العمل يقع في أوروبا وأمريكا كل يوم ، وإن كان القائمون به من أفراد الشعب وبأموال الشعب ، لأن التضامن الاجتماعي هناك كفيلا أن يشعر القائدين بضرورة معاونة المحتاجين . وإلى أن يتم في مصر هذا الشعور ستظل السلطات مطالبة بسد هذه الثغرة من مواردها العادية أو من الضرائب الإضافية للخدمة الاجتماعية . والوقت أنسب الأوقات لفرض هذه الضرائب حيث تتضخم الثروات وتتكس الأموال .

(٢)

وقد استقر الرأي في وزارة الصحة على إنشاء خمسة محاضن للأطفال الفقراء في القاهرة وقدر المال اللازم لهذا المشروع بأحد عشر ألف جنيه ستدرج في الميزانية الجديدة ، نظرا لما لوحظ من أن كثيرات من العاملات والخادمات ذوات الأطفال يتقهن القيام بعملهن الذي يرتقن منه مع القيام بحضانة أطفالهن .

وقد استقر الرأي على أن يباح لكل أم عاملة أو خادمة أن تترك طفلها في أحد هذه المحاضن بياض النهار مقابل مبلغ زهيد ، أو بلا مقابل إذا عجزت عن ذلك ، على أن تسلمه في المساء ، وبهذا تستطيع أن تؤدي عملها الذي منه تقنات ، وأن تضمن سلامة طفلها ورعايته . وهذا مشروع طالبتنا به في هذه المجلة منذ بضعة أشهر لما لاحظناه وقتها مما لاحظته وزارة الصحة الآن ، فلا يسعنا إلا أن نحمده للوزارة وأن نسجله مقتبطين .

ونحسب أن الأمر في هذه المحاضن لن يقتصر على مجرد حضانة الأطفال وإرجاعهم آخر النهار إلى أمهاتهم كما تركتهم . فسيراعى ولا شك توافر الشروط الصحية في هؤلاء الأطفال فتتظف أجسامهم وملابسهم في هذه المحاضن ، وسيكشف عليهم طيبا ، ثم يعالج المريض منهم ، وسيفدون غذاء حسنا ، وهذه الإجراءات كفيلة بتعويد الأمهات على تنظيف أبنائهن ولا سيما إذا ساعدتهن المحاضن بالإرشادات وبقليل من الصابون ، وبعض الملابس التي يموود بها الخيرون وبكميات إضافية من اللبن الطبيعي أو المجفف .

فنحن نعتقد أن هذه المحاضن لن يقصد بها أن يكون لإرداءها معادلا لثفقاتها ، بل نحن نطالب بأن تكون بالمجان لأبناء العاملات والخادمات جميعا ، مع فرض رقابة شديدة على

الحاضنات والمرضات والخدمات فيها بحيث نضمن عدم الإهمال الذى يشاهد دائما في مستشفيات الفقراء ؛ فهذا الإهمال قد يتحمله الفقراء الكبار ، ولكن الأطفال لا يتحملونه وقد يتأثرون به تأثرا يدعو إلى المرض أو الوفاة .

فينبغى أن تختار الحاضنات والمرضات والخدمات اختيارا دقيقا من تسبعت نفوسهن بالرحمة ومبولن بروح الخدمة الاجتماعية ، وينبغى أن تكون الرقابة فوق ذلك شديدة لا على النحو المتبع في المستشفيات المجانية، وأن تكون العقوبات التى توقع على المهملات والعابثات عقوبات سريعة وشديدة وحاسمة .

وعندما تفلح التجربة قد تأخذ الوزارة في إنشاء محاضن أرقى للأطفال الذين تركهم أمهاتهم بالوفاة أو بالمرض الطويل من يقدر أهلهم على الإتفاق عليهم ؛ وقد فصلنا في عدد سابق من هذه المجلة قصة الوالد الذى توفيت زوجته وحار بطفليه بين الملاجئ الأجنبية التى تتخذ من دور الرحمة معاهد للتبشير ، وبين الملاجئ الحكومية التى لا تقبل إلا أبناء الطريق، والتى تطلب من الوالد الذى يريد إيداع أطفاله بها أن يتخلى عن نسبتهم إليه !!!

وإن كثيرا من الآباء في هذه الحالات لمستهون لأداء مبالغ تتراوح بين ثلاثة جنيهات ونحمة عن الطفل في الشهر الواحد، فتصبح المحاضن موارد إيراد يكفى أو يزيد على المصروفات، وترجع الآباء المثقلين الذين لا يجدون المراضع المريحات السليات .

(٣)

والمشروع الثالث الذى درسته وزارة الصحة وأدرجت الاعتمادات اللازمة له في العام المقبل ، مشروع إنشاء معازل أو مستعمرات لمرضى السل ، على أثر ما تبين من كثرة عدد المسلولين على الرغم من الجلو الصحو والشمس المشرقة في وادى النيل ، وما ظهر من عدم جدوى العلاج ، لأن كثيرين ممن ينالون الشفاء يتركسون بسبب عودتهم الى العمل الشاق الذى يزاولونه ؛ وبسبب عجزهم عن التغذية الصحية بعد مبارحتهم المصحات . ثم يختلطون بالأصحاء فينقلون اليهم العدوى في كل مكان .

والواقع أن المشكلة المصرية الخالدة الأصيلية هى مشكلة قلة التغذية للغالبية التى تتيج ليكروب السل أن يأكل رئات الألوف ويطيح بحياتهم على الرغم من الشمس الصاحية والجلو المشرق في وادى النيل .

ثم تتعاون مع قلة التغذية روح الأنانية وضعف الشعور الاجتماعى . ذلك الروح الذى يلهى المتمتعين عن العناية بالمحرومين ، ومعاونتهم على اجتياز مفازة الحياة .

فمثل هذه المستعمرة التي تهم بها وزارة الصحة قد أقامته الجمعيات الأهلية بالعثرات في جميع بلاد العالم المتمدنين على نفقتها من التبرعات الشعبية . أقامته رعاية للرضى بهذا المرض الويل من جهة ، ورعاية للأصحاء الذين يتعرضون للعدوى بالاختلاط من جهة أخرى .

وسينح للرضى النافعين في مستعمرات السل التي تنشأ وزارة الصحة أن يعيشوا مع عائلاتهم وأن يقتاتوا من أعمال سهلة تناسب حالتهم الصحية ، فلا ينكسوا مرة أخرى ، مع ملاحظتهم طبيا حتى اذا ظهرت أعراض النكسة على بعضهم رد الى المعصحات للعلاج مرة أخرى ، وهو على هذا مشروع انساني وصحي جليل يستحق الشكر والتقدير .

وإن هذا المشروع ليصبح أتم وأكمل لو استطاعت وزارة الصحة في الخطوة التالية أن تنشئ معازل للأطفال الذين يولدون من أبوين مسلولين كلاهما أو أحدهما ، فقد ثبت أن السل مرض غير وراثي وأن إصابة الأطفال المولودين إنما تنشأ من العدوى بعد الولادة . وفي هذا الصدد يذكر الدكتور عبد الرؤوف بك حسن مدير مصلحة فؤاد الأول — وهو حجة في فنه وفي نقله — التجربة الآتية :

” هناك دليل على مقنع على عدم أهمية الوراثة في السل . هذا الدليل هو مشروع ”جرانشيه“ الذي بدأه الأستاذ ”جرانشيه“ في فرنسا سنة ١٩٠٣

”والمبدأ الذي استحدثه ”جرانشيه“ بسيط في حد ذاته ولكنه بعيد الأثر في وقاية الأطفال من عدوى السل . ذلك أنه يفصل الأولاد المولودين من أمهات مسلولات من أمهاتهم بمجرد الولادة ويرسلهم إلى الأرياف لتربيتهم في عائلات ريفية خالية من عدوى السل .

”ومن المدهش حقا أن أصرح للقراء أنه خلال المدة ما بين سنة ١٩٠٣ وسنة ١٩٢٥ شمل المشروع ألفين ونعممائة طفل أصيب بالسل منهم سبعة فقط توفي من هؤلاء اثنان بالالتهاب السحائي الدرنى وعوفى الخمسة الباقون بالعلاج ، مع أن هؤلاء الأطفال لو تركوا فوسطهم العائلي المويء لكان من المتظر أن يصاب منهم بالسل ٦٠٪ أى ألفا ونعممائة طفل بدل سبعة أطفال وأن يتوفى منهم بالمرض ٤٠٪ أى ألف طفل بدل طفاين فقط .

”وخلاصة القول في موضوع علاقة السل بالوراثة أنه من الوجهة العملية يتعين على المناداة بأعلى صوت أن المشاهدة الطويلة والخبرة الناضجة قد دلنا على أن اعتقاد الجمهور بأن انتقال السل من الوالدين إلى النذرية بالوراثة اعتقاد لا يستند على أسس علمية صحيحة بل هو وهم أرى من واجبي تبديده في الحال . إن قرب الحوار وطول الاختلاط بين أفراد العائلة الواحدة هما أهم العوامل التي تمهد لميكروب السل سبيل الانتقال من الوالدين إلى النذرية بطريق العدوى لا بطريق الوراثة “ .

وهذه الفقرات التي انتظناها تكفى للدلالة على ضرورة وجود معازل الأطفال في المرحلة التالية من مراحل مشروع السنوات العشر الذي تضعه وزارة الصحة ليسير عملها على أساس ثابت وخطة واضحة .

(٤)

ومن الملاحظ في مصحات السل كثرة المصابين من سكان مصر العليا وصعوبة شفائهم . وهذا قد يبدو غريباً ، ولكن تفسيره أن هؤلاء الناشئين في جو جاف لا يحتماون رطوبة الجو غالباً إذا نزحوا إلى القاهرة والوجه البحري للخدمة أو العمل ، ولعل هناك سبباً آخر هو فقرهم وسوء تغذيتهم وضعف بنيتهم بسبب سوء التغذية واستعدادهم لهذا للعدوى بلا مقاومة . وقد قررت وزارة الصحة إتفاق مبلغ ألفين من الجنيهات لتحسين التغذية في أوساط الفقراء بأسوان بعد رحلة معالى وزير الصحة إلى هذه الجهات ، وهو قرار إنسانى حكيم ، ولعلنا لا نتهم بالتكرار حين نعود إلى القول بأن مسألة تغذية الفقراء تال حظاً كبيراً من عناية الأمم الراقية واهتمامها ، وتدوع مسائلها هناك وهواردها ، وأن تركها للسلطات المسئولة وحدها أمر غير طبيعى فهى واجب الأغنياء القادرين ، وواجب الجماعات الشعبية المطالبة بالتموض بها وبسواها من الخدمات الاجتماعية .

والاقليم الأسوانى لا يعدم أثرياء من بنيه يعيشون هناك أو نزحوا إلى العواصم ليستمتعوا بما فيها من رفاهية وترف ورخاء تتيحها لهم مواردهم المالية ، وعلى هؤلاء وهؤلاء يقع الواجب الأول في المساهمة مع وزارة الصحة بتغذية مواطنيهم وقد يكون من بينهم أقرباؤهم الفقراء ! على أن وحدة الشعب تحتم على غير أبناء الاقليم أن ينهضوا بهذا العمل الانسانى الجليل ونحن نسمع ونقرأ أن الكثيرين دفعتهم الأريحية لكسوة وإطعام فقراء الأقطار الأخرى ، أو للترفيه عن الجنود من مختلف الشعوب . فيجب أن يضيفوا إلى هذه الروح الطيبة المشكورة روح العطف على مواطنيهم الأقربين ، والجار أولى بالمعروف . ومشاكل الغذاء تزداد تعقداً بسبب الحرب وما جرته من الفلاء وقلة الأغذية التي في متناول الفقراء .

(٥)

ولا يرجع سوء التغذية في مصر إلى الفقر وحده ، بل يرجع جانب منه إلى الجهل وعدم معرفة القيمة الغذائية الصحيحة لمختلف مواد الطعام لا بين الجهلاء فحسب بل بين المتعلمين أيضاً ، لأن الثقافة الغذائية مهمة في برامج التعليم ، وكانت مهمة في برامج وزارة الصحة حتى اليوم .

ومعرفة القيمة الغذائية لأنواع الطعام لازمة ومفيدة في تبصرة الأفراد والأسر بمحبة ما يأكلون وفي توفير كثير من النفود التي تنفق في شراء مواد غالية لا تزيد قيمتها الغذائية

على مواد أخرى يمكن شراؤها بربع الثمن ، فكثيرون من يتهاقنون على اللحوم مثلا على اعتقاد أنها ذات قيمة غذائية عالية ويشترونها بثمن مرتفع نسبيا بالقياس إلى مواد أخرى تحتوى على قيمة اللحم الغذائية أو أكثر منها كفول الصويا والحبوب ذات الفصين على وجه العموم أو كمشروبات الألبان مثلا .

و بجانب معرفة القيمة الغذائية لمواد الطعام يلزم أن تبحث معايير التغذية اللازمة لكل فرد حسب سنه وحسب نوع عمله ، وأن ينتشر العلم بهذه المعايير حتى يستطيع كل فرد أن يحرص على تناول المعيار الذى يناسبه ، عن طريق مواد الطعام التى تتوافر فيها الكمية الغذائية المطلوبة بأرخص الأسعار .

وهذه المسألة أثبتت قبل اليوم حينما كلف ” الاتحاد الملكى للجمعيات الطبية “ ثلاثة من كبار الأطباء أحدهم معالى وزير الصحة الحالى يبحثها ، وقد قدم وقتها إلى الاتحاد تقريرا جاء فى مقدمته :

” يجب مراعاة العادات الغذائية التى تختلف فى جهة عنها فى أخرى داخل المملكة ذاتها والتى كثيرا ما تكون ناتجة عن وجود نوع معين من المنتجات أكثر من سواه فى هذه الجهة أو تلك ، كما يجب مراعاة مقدار الانتاج من مختلف المواد الغذائية الصالحة وأسعارها ومواسمها ، وكذلك قدرة الطبقات الفقيرة على الشراء وأخيرا وليس آخرا ما يكون للفداء الشعبى المقترح من علاقة بالإنتاج الزراعى والحركة التجارية أو الاقتصادية عامة “ .

والآن وقد صار معاليه وزيرا للصحة جعل من برامج السنوات العشر وفى السنة الأولى هذا الموضوع الهام ، فعلينا أن ننظر النتائج فى تفاؤل وثقة .

— من وضع نفسه مواضع التهمة فلا يلومن من أساء به الظن .

— من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ .

— من شاور الرجال شاركهم فى عقولهم .

— من كتم سره كانت الخيرة فى يده .

الاتجاه القومى للتعليم عمل واجب بعد الاستقلال

بقلم الأستاذ سيد قطب

فى العهد الذى كانت مصر فيه خاضعة لسلطة الاحتلال التركى أو الانجليزى لم تكن للتعليم أهداف قومية . وكان هذا طبيعيا معقولا .

ولكن هذا العهد قد انقضى بعد تغير موقف مصر السياسى .

فإذا صنعنا نحن لنلائم بين اتجاه التعليم فى المدارس واتجاه البلاد فى طريقها الجديد ؟
لم نصنع أكثر من ترقيع البرامج والنظم ، وزيادة بعض مواد الثقافة ، وتعديل بعض طرائق الدراسة ، بينمابقى الأساس الموضوع من قبل دون تعديل أو بتعديل خفيف يمس العرض الظاهر دون الجوهر الأصيل .

هذا الترقيع فى النظم والبرامج جاء مغلا وضارا ، فلم يبق على النظام القديم الذى كان منطقيا مع عصره ، منطقيا مع أغراضه ، مؤديا إلى أهدافه ، ولم يستحدث نظاما جديدا يكون منطقيا مع العصر الجديد مؤديا إلى أهدافه الجديدة .

كثير التغير والتبديل ! وكثير رسوب التلاميذ وشكواهم ، وكثير المتعطلون من المتعلمين ، وكاد النظام الاجتماعى يضطرب بسبب هذا التعطل ، واضطرب النظام الاقتصادى عملا ، ولم تريح القومية المصرية شيئا من وراء النظام المرقع البديل .

ولست هنا فى مقام بيان عيوب التعليم عامة وأثرها فى الأوضاع التى نشكو منها الآن وعلى من يريد الاستعادة فى هذا الموضوع أن يقرأ تقرير وزير المعارف عن عيوب التعليم الثانوى ، وكاتب الدكتور حافظ عفيفى باشا " على هامش السياسة " وكاتب الدكتور

طه حسين بك المستشار الفنى لوزارة المعارف "مستقبل الثقافة" وكتاب مريت بطرس بك "سياسة الغد" وكتاب الدكتور على عبد الواحد وافي "البطالة" وكتاب الأستاذ عبد الخيد فهمى مطر "التعليم والمتعطلون فى مصر" وسواها من الكتب والتقارير والمقالات .

إنما أريد فقط أن أتحدث عن نقص الاتجاه القومى فى المدرسة المصرية وفى وسائل الثقافة المصرية من صحافة وإذاعة ومسرح وسينما .

وحين يكون على رأس وزارة المعارف نجيب الهلالي باشا صاحب التقرير المعروف ، وعلى يمينه مستشارا فنيا ، الدكتور طه حسين بك صاحب الكتاب المعروف ، نتأثر أن يصنع شئ فى هذا الشأن غير ما صنع من قبل ، وأن يوضع للتعليم أساس جديد كامل .

وقد نشر المستشار الفنى لوزارة المعارف منذ سنوات كتاب "مستقبل الثقافة" ، ونحن نرتضيه دستورا للثقافة يجب تنفيذه فى عهد الاستقلال .

وهذا الكتاب مرصود كله للدستور الثقافى فى جميع مراحله ، ولكن به صفحات كاملة من الشعور القومى وضرورة بثه فى نفوس الناشئة ، ضمانا للاستقلال ، وللديمقراطية التى هى الثمرة الداخلية للاستقلال ، فلنقتطف بعض الفقرات من هذه الصفحات .

يقول فى صفحتى ٧٧ و ٧٨ من الجزء الأول : "نحن إذا فكرنا قليلا اتهمنا إلى أن من أوجب واجبات الدولة المصرية فى عشرات الأعوام المقبلة — أن تحوّل الاستقلال الخارجى ، وأن تقر النظام الديمقراطى فى داخل الحدود المصرية . ومهما يكن جهد الأفراد فى حياة الاستقلال وتثبيت الديمقراطية ؛ فإن هذا الجهد ليس شيئا بالتياس إلى الجهد الذى يجب أن تبذره الدولة ؛ لأن الدولة أقدر على ذلك وأنفذ إليه وهى لم تقم بعد إلا له .

"وإذا كان أهم أعمال الدولة أن تحوّل الاستقلال الخارجى ؛ فإن الوسائل إلى حياة هذا الاستقلال هى من أول واجبات الدولة ومن أهم أعمالها . وأى وسيلة إلى حياة

الاستقلال تعدل هذه الوسيلة الأساسية. هذه الوسيلة الأولى والأخيرة؛ وهى تنشئ الطفل المصرى والفتى المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياته والذيادة عنه ؟

” وإذا كان من أول واجبات الدولة أن تحمى بعض المصريين من بعض ؛ وأن تكفى بعضهم شر بعض ، وأن تكف بأس بعضهم عن بعض ؛ وأن ترفى العدل والأمن ؛ وتحقق لهم المساواة وتكفل لهم الحرية . إذا كان ذلك كله من أول واجبات الدولة وأهم أعمالها ؛ فإن الوسيلة الى هذا كله من أول واجبات الدولة وأهم أعمالها . وأى وسيلة الى تثبيت الديمقراطية تعدل هذه الوسيلة الأساسية ؟ هذه الوسيلة الأولى والأخيرة وهى تنشئ الطفل المصرى والفتى المصرى على أن يحب موطنه ، ويؤثرهم بالخير ، ويضحي بنفسه فى سبيل حمايتهم من الشر وحياتهم من الظلم ، ويشعر بأن عليه واجبات قبل أن تكون له حقوق ؟ “

فهل مما يكفل تنشئة الطفل المصرى والفتى المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياته والذيادة عنه ، أن يتضمن برنامج المدارس الابتدائية فى مادة التاريخ موضوعا عن : ” مزايا الحملة الفرنسية على مصر “ ومثله من الموضوعات .

جائز أن تكون هذه الموضوعات ، مما يدرس فى عهود خاصة ، لتؤدى الى هدف مقصود ، لما الذى يجيز لها أن تدرس فى عهد الاستقلال للتلاميذ الصغار ؟

وجائز أن تكون هذه حقائق تاريخية ، أو أن تكون ادعاءات مقصودة للدعاية ؛ ولكنها فى كلتا الحالتين لا يجوز أن تدرسها ناشئة البلاد فى صورتها هذه ، ويجب أن تؤجل الى مرحلة الجامعة عند التحقيق التاريخى . أما عهد الطفولة وعهد الشباب ، فيجب أن ينقضيا فى تلقين الأطفال والشبان حقائق أخرى تصور الأجداد المصرية ، وتملا نفوسهم بالعزة القومية .

وليس ما ذكرت إلا مثلا من أمثلة كثيرة فى مادة التاريخ وحدها — وهى أهم المواد التى يعتمد عليها فى ” تنشئ الطفل المصرى والفتى المصرى على حب الاستقلال والتضحية بالنفس فى حياته والذيادة عنه “ .

فهل شئ من هذا كله يساعد على تنشئ الطفل المصرى والفتى المصرى كما ينبغى ؟ !

وليس شئ فى برنامج الدراسة الحالى مما يثب الشعور القومى ويحميه فى نفوس الناشئة فالتاريخ المصرى ضائع بين تواريخ الأمم الأخرى ، ولا يشعر الطفل والفتى أنه تاريخ وطنى تبذل له عناية خاصة ويوجه توجيهها خاصا ، والجغرافيا المصرية سريعة خاطفة مدغومة فى الجغرافيا العالمية ، لا يحس معها الطفل والفتى أنها جغرافية بلاده وأنها يجب أن تتمتع بانتباه خاص ، والمجتمع المصرى الذى يطلب مؤلف " مستقبل الثقافة " أن ينشأ الطفل المصرى والفتى المصرى على حبه والنضحية فى سبيله ؛ لا تأتى سيرته إطلاقا فى برنامج الدراسة ، ولا ينشأ الطفل والفتى على الشعور بوجوده مجرد الشعور ! .



يجب إذن أن يقام التعليم وأن تقام التربية على أساس جديد ، ونضرب هنا بعض الأمثال فى بعض مواد الدراسة ، وبعض وسائل التربية .

ففى التاريخ نرى أن الكتب التى بأيدي تلاميذ المدارس اليوم عن مصر يجب أن تتزع وتلقى بعيدا عن متناولهم حتى لا تشوه لهم تاريخ بلادهم ولا تحيله جامدا ميتا لا روح فيه ، وحتى لا تتخلق بينه وبينهم جفوة توصل نفوسهم دونه كما هو حادث الآن ، إذ أن مئات الأسماء للولك والحوادث الحربية وللأممكة وللتواريخ الرقمية التى حدثت فيها تصد الناشئ عن هذا التاريخ وتكرمه فيه لأنه واجب نفيل لا حياة فيه .

يجب إذن أن تختفى هذه الكتب المؤذية ، واختفاؤها هو واجب وطنى قبل أن يكون واجبا علميا .

فإذا منعت دراسة هذه الكتب ، فيجب أن تحل محلها كتب أخرى متدرجة حسب مراحل الدراسة ، ففى المدارس الابتدائية تستبدل بها كتب قصصية عن حياة المصريين تصور هذه الحياة تصويرا صحيحا ، وتشتمل على عاداتهم وتقاليدهم وبعض عقائدهم وأناسيدهم ، حتى تتجسم فى هذه المخيلات الصغيرة صورة شاخصة لهم لا أثر فيها للسرد الملول ولا للتواريخ الرقمية للحوادث إلا ما تيسر فى شأيا القصص المحبوب .

والمدراس الثانوية تدرس سير بعض الأبطال القدماء والمحدثين بحيث تشمل هذه السير تاريخا للحوادث في عصرهم ووصفا لحالة الشعب وبسطة لعاداته وتقاليده وديانته وكثير من أناشيده في مواسمه وأعياده ؛ ودرس السير الشخصية من ألد وأمتع الدراسات ، وهو فرصة لتصوير حياة الشعوب وحوادثها في خلال حياة الشخصية المدرسية ، وهو في مرحلة التعليم الثانوى بالذات — مرحلة المراهقة — أنسب طرق الدراسة وأبعث ما يكون لخياهم الخصب وعواطفهم المشوبة ومتعدادهم للتشبه بالأبطال ، ولا سيما حين يكون هؤلاء الأبطال من دمهم ومن سنصرهم .

وفي التاريخ المصرى كثير من الأساطير ؛ فحول هذه الأساطير وحول الحوادث التاريخية وحول الأشخاص الحقيقيين والوهيين ينبغي أن تحاذى القصص والروايات والأفلام ، ويوضع ذلك كله في متناول التلاميذ والطلاب حسب أعمارهم وثقافتهم ، للقراءة والمشاهدة والتمثيل .

وهذه الآثار والتماثيل والنقوش يجب عقد الصلة بينها وبين نفوس التلاميذ والطلاب بتكرار زياداتها وشرحها شرحا وافيا ، وحينئذ تنقلب هذه المخلقات الجامدة حية نابضة تحدثهم عن نفسها وتقص عليهم تاريخها : وتثير الروابط الكامنة بينهم وبينها . فتعيش في أوهامهم عيشة الأحياء المبعوثين .

فاذا تجاوزنا مرحلة العهود الفرعونية فيجب أن تتجه الدراسة إلى وضوح الشخصية المصرية حتى في عهود الغزو والاحتلال ؛ وإلى غلبة هذه الشخصية على شخصية الفاتحين ، وإلى أثر الروح المصرية والعقائد المصرية والأساطير المصرية في كل مادخلها من فسفات وثقافات .

وهذا يصبح التاريخ المصرى متسلسلا ، وتصبح مصر شخصية حية في وهم كل تلميذ ويحس أنه اليوم ليس غريبا عن تحتس ورمسيس ، ولا غريبا عن الأقوم الذين عاشوا فوق هذه الأرض الخالدة منذ أقدم عصور التاريخ .

وفي المكتبة العربية اليوم كتاب يؤدى إلى هذه الغاية أحسن أداء وهو كتاب المرحوم عبد القادر حمزة باشا " على هامش التاريخ المصرى القديم " .

وفي الجغرافية : يجب أن تدرس الرقعة المصرية والبيئة المصرية بتوسع : طبيعتها وجوها وحيوانها ونباتها وترتبتها وكل شيء فيها ، وأن يربط بينها وبين التاريخ القديم والحديث وأن يزور التلاميذ أكثر ما يمكن من الأماكن والجبهات التي يرد ذكرها في أثناء الدراسة . وينبغي أن تكون الرحلات والسياحات جزءاً أساسياً من البرنامج . ويجب أن يكون للإيحاء قيمته في أثناء دراسة الرقعة المصرية وما يتصل بها من الشرق والغرب مما أثر فيها وتأثيرها من البلاد ، وأن ينصب هذا الإيحاء على عجد تلك الرقعة وذكرها في شيء من التقديس والتبجيل كأنها بلاد مقدسة في القلب واللسان . ويجب ألا يوجد ذلك الفاصل بين دروس التاريخ ودروس الجغرافية ، وأن يختلطا في جميع المراحل بقدر الإمكان .

وفي اللغة والأدب : يجب أن تعطى الفرصة كاملة في مرحلة التعليم الابتدائي للغة القومية — وهذا " يشير " مؤلف " مستقبل الثقافة " وهو اليوم " مستشار " الوزارة . ولعل من الحق أن نقول : إن عقبة ستعترض المستشار الفني في الطريق . هذه العقبة هي أن قصر المرحلة الابتدائية على اللغة القومية ، سيوفر عدداً من مدرسي اللغة الانجليزية في هذه المدارس ، وهذه عقبة تعد في وزارة المعارف كأداء لاسيل إلى اجتيازها ، وسيدافع عنها كثيرون لاعلى هذه الصورة ولكن بمعاذير أخرى ، فقل الله أن يوفقه إلى استخدام هؤلاء المدرسين الذين سيزيدون على الحاجة في مواد البرنامج الأخرى ، فتحل هذه المشكلة ، ويفتح للغة القومية من الوقت والجهد ما يؤصلها في ثقافة التلاميذ .

أما الدراسات الأدبية فيجب أن تعنى بالأدب المصري قديمه وحديثه ، وأن تبرز فيه الخصائص المصرية التي خلقتها البيئة المصرية والروح المصرية على اللغة العربية وآدابها . ويجب أن يشعر الطالب أن بلاده لا تكفى بتلق الآداب والثقافات والفلسفات ، إنما هي تمصرها ، وتخلق عليها ثوبها ، وتؤثر في كيانها واتجاهها ، وأن يبرز ذلك كله بروزا كافياً .

وفي الحساب : يجب أن تصاغ رءوس المسائل على المبادلات المصرية الحقيقية ، وأن تكون ذات قيمة عملية في تعريف التلاميذ طرق الحساب التطبيقية في السوق المصرية ؛ وأن تبعد عن الفروض المستحيلة كمسائل الأحواض والخففيات والبالوعات : الخففيات التي تصب في الأحواض بمعدل كذا في الساعة والبالوعات التي تنفرغ هذه الأحواض بمعدل كذا في الساعة فإذا فتحت الخففيات والبالوعات فبعد كم تمتلئ . . . الخ !

وفي التربية الوطنية والاجتماعية : يجب أن يعلم التلاميذ هذا الذي يقوله الدكتور طه حسين بك من أن الطفل المصرى والفتى المصرى يجب أن "يحب مواطنيه ويؤثرهم بالخير ويضحى بنفسه فى سبيل حمايتهم من الشر ، وحياطتهم من الظلم ، ويشعر بأن عليه واجبات قبل أن تكون له حقوق " .

ولن يعلم الطالب المصرى شيئا من هذا وهو يدرس تلك النصوص الخافتة الجامدة باسم التربية الوطنية ، وهو لا يدرس شيئا أصلا عن الشعب المصرى والمجتمع المصرى ، وهو لا يعرف شيئا عن طبقات هذا المجتمع وتوزيع الثروة فيه وآلامه وآماله ، وعلاقة الفرد بالمجموع ، ومسائل الخدمة الاجتماعية... إلى آخر هذه المعلومات التى تشعره أن خلف جدران المدرسة مجتمعا ، والتى تثير فى نفسه حب هذا المجتمع والعطف عليه والتجاوب معه والعمل لخيره ، والتطوع لخدمته .

ثم يجب أن يخلع على كل ما هو مصرى نوب الإعزاز والإكبار ، وأن يحرم كل ما يחדش الشعور الوطنى أو يوحى بأن هذا الوطن أقل من الأوطان الأخرى فى شئ ، ما من خصائص الحياة ، وأن يراعى ذلك فى كل ما يقرؤه التلاميذ أو يشاهدونه فى المسرح والسينما أو يسمعون فى الإذاعة بكل وسائلها .



هذه أمثلة من وسائل تربية الشعور القومى ، وتوجيه التعليم هذه الوجهة ، وهى أمثلة مجملية قصدا منها الإشارة السريعة لا رسم خطة مفصلة . وكان حديثنا حتى الآن مقصورا على مراحل التعليم غير العالى أما الدراسات الجامعية والعالية ، فوسائلها إلى هذه الغاية أكثر عددا وأوسع مدى . ومتى تم وضع الأساس فى المراحل الأولى ، سهلت إقامة البناء فى المراحل الأخيرة . وفى اعتقادنا أن التعليم فى المدارس سيبقى بلا هدف ولا ثمرة ، حتى ترسم سياسة إنشائية متحركة من أفعال الماضى ، ناثرة على "نزوتين" الديوانى والاجراءات الحكومية .

وفى وجود القائمين على شئون التعليم الآن ما يكفل الثورة والتحرر ، وما يضمن هذا الاتجاه الجديد ، وهو ألزم من النظر فى أشياء أخرى كثيرة تشغلهم عن هذا العمل القومى الباقى للأجيال .

إنقاذ الطفولة المشردة

منهج البحث وطريقة التنفيذ

هنا في هذه المجلة ، وفي غيرها من الصحف والمجلات ، وفي داخل البرلمان وخارجه ارتفعت صيحات مختلفة النغمة عن الطفولة المشردة ، وولايات الطفولة المشردة ؛ وبلغ بعض هذه الصيحات مبلغ الولولة والعيول على ماتخمسه الأمة من الثروة الكامنة في هذه الطفولة ، وما تجره خسارتها من عراقب خلقية واجتماعية تضاعف من الخسارة الاقتصادية وتزيد من فداحتها .

وكل هذا صحيح ، وتلك الصيحات كانت واجبة في حينها لتلفت الأنظار إلى عمق الهاوية التي تسير إليها البلاد ، ولتستحث الهمم الراكدة حتى تنهض بالعلاج ، وبالوقاية قبل العلاج ؛ ولقد أثمرت بعض الثمرات ، فقامت بعض الهيئات تخصص جهودها ومواردها المحدودة لمكافحة هذه الآفة ، وفي مقدمة هذه الهيئات : جماعة الرواد ، ورابطة الإصلاح الاجتماعي ، وجمعية الدراسات الاجتماعية . ولها جميعا في هذا الاتجاه بمجهود مشكور غير منكور .

ولكن المشكلة أعوص من أن تحلها هذه الجهود المحدودة ، وتلك الموارد الضئيلة . هذا من جهة . ومن جهة أخرى أن المشكلة أعمق من أن يؤثر فيها العلاج وحده دون الوقاية . ووجهة ثالثة هي أنها تسير اليوم بلا قواعد مدروسة ولا منهج مرسوم . وهذه الوجهة هي موضوع بحثنا في هذا المقال . وسنعالجها في الفقرات التالية باختصار :

* * *

فأولا : أن ميزانية الدولة لا تستطيع وحدها النهوض بمهمة إنقاذ الطفولة المشردة ، التي نراها في ذلك المظهر الزرى الذى شبت الأقاليم تصورا له وغمت ألوف المرات في المداد الأسود القائم لرسم له صورة لا تبلغ من الواقع شيئا ، إذ الواقع الحى أشد قتاما من الصورة المرسومة .

وعلى فرض أن الميزانية تستطيع أن تنهض بهذه المهمة ، فهي مهمة غير واضحة ولا محدودة ، ولم تقوم بالأرقام حتى تعرف الدولة وتعرف الأمة ما هو مطلوب منها من الجهد والمال . فليست لدينا إحصائية مضبوطة أو تريبية عن عدد الأطفال المشردين ، لم تقم الدولة بعمل هذه الإحصائية البسيطة ولم تقم بها هيئة من الهيئات التي تعمل في هذا الميدان .

وثانيا : أن أسباب التشريد لم تبحث بحثا علميا دقيقا ، ولا سبيل إلى بحثها قبل عمل الإحصائية التي أشرنا إليها في الفقرة السابقة . وبدون معرفة أسباب التشريد لا تستطيع

الدولة ولا تستطيع الهيئات أن تعالج الطفولة المشردة ، ولا أن تتحدد حتى وسائل العلاج ؛
فالتشخيص أولا والدواء ثانيا ، هذه قاعدة كل علاج علمي سليم في جميع الأمراض .
والتشريد مرض من أشنع الأمراض .

وثالثا : أن العلاج وحده لا يفيد ، فما هو إلا نوع من تطهير المصعب وترك المنبع
يقذف كل يوم بمجديد . وقبل أن تعرف الدولة وتعرف الأمة أسباب التشريد لا تستطيعان
أن تتحذا شيئا من وسائل الوقاية ومن تطهير المنبع حتى لا يقذف كل يوم بمجديد .

ورابعا : أن الأمة لا تنهض بواجبها من التبرعات بالمال وبالجهد إلا حين تصور لها
المشكلة تصورا دقيقا ، ويحسم لها الخطر بالأرقام والاحصائيات ؛ ويرسم لها برنامج العلاج
ووسائله ، ويقال لها إن ذلك البرنامج وهذه الوسائل تكلف كذا من المال وكذا من الجهود ،
وكذا من القوانين والتشريعات ، وكذا من السنين للوصول إلى الهدف المقصود .

وأما مثل على هذا الذي نقول في مشروع تحسين الصحة القروية ، فقد ظل تحسين
القرية أمنية من أماني الأفراد والحكومات ، وغرضا غامضا نريده ولا نهتدى إلى طريقه ،
حتى استطاع وزير جاد أن يضع مشروعا محدد الغايات واضح الأهداف ، ويطلب له قدرا
معينا من المال ، فأجيب في الحال إلى طلبه من الهيئة التنفيذية والهيئة التشريعية ، وأقبلت
الأمة بدورها على المشروع تتبرع له بالوف الخنفيات .

ونحب هنا أن ننبه إلى أن دراسة هذه المشكلة على النحو الذي نشير به ليست سهلة
التنفيذ كما تبدو على الورق فهي عميقة الجذور متشعبة المسالك ، متصلة في الصميم بجميع
المشاكل الاجتماعية الأخرى . ودراستها على هذا النحو ستكلف كثيرا من الجهد والمال ،
وستتد إلى دراسة مشكلات أخرى لا تتخطر لأول وهله على البال . أما علاجها فيكلف
مجهودا أكثر ، فإذا امتد بنا الخيال إلى الوقاية قبل العلاج ، فذلك طريق متشعب المسالك
مملوء بالأشواك . وإن كان هذا كله لا ينفى أن الحل الصحيح للمشكلة هو هذا النحو من الدراسة
العامة المنظمة .

والآن حسبنا أن نشير إلى بعض الأسباب الظاهرة لمشكلة التشريد (مع اعتقادنا أن
الفحص الكامل قد يضيف إليها أو ينقص منها) لنذكر عظم المشقة في رسم هذا البرنامج .
في مقدمة هذه الأسباب : الفقر : وللفقر أسبابه المتشابكة من الجهل والمرض وسوء
توزيع الثروة ، وضعف الروح الاجتماعية ، وفقدان التعادل بين الجهد والجزاء ، وقلة
الضمانات الاجتماعية وضيق الموارد العامة ... إلى آخر هذه الأسباب .

ومنها المرض أو الشذوذ ، وكلاهما يؤدي إلى فقدان العائل أو سوء سلوكه أو توريثه
أطفاله شذوذا خاصا ، وكلها وسائل مؤدية إلى التشريد من قريب أو من بعيد .

ومنها المخدرات والخمور ، ويمكن إضافتها إلى المرض أو الشذوذ ، وكثيرا ما يكون إدمانها ناشئا عنهما أو مؤديا اليهما . فالإدمان والمرض والشذوذ مسالك تؤدي إلى غاية واحدة في مشكلة الطفولة .

ومنها العجز عن العمل وعن كفالة الأطفال أو موت العائل . ويمكن إضافتهما إلى قائمة المرض على حد سواء في النتيجة .

ومنها الشقاق بين الزوجين وتحطم الأسرة لسبب من الأسباب التي لا تخص وفي مقدمتها الجهل بفن الحياة الزوجية وسهولة الطلاق ، وفقدان الضمانات للأطفال في حالة تحطم الأسرة . ومنها فساد المسكن وضيقة وفقره مما يجتذب الطفل إلى الشارع فيقوده هذا إلى الشرود ويلقيه في أحضان العصابات التي تتلقف الأطفال وتدر بهم على حياة الإجرام .

ومنها تشغيل الأحداث في سن مبكرة على الرغم من القوانين الموضوعة لهذا الغرض ، أو سوء معاملة "الأسطوانات" لهم ، وأثر هذا وذلك كأثر فساد المسكن في هروب الطفل وإيثاره حياة الشرود على حياة العمل المرهق المضاد لفرائزه وميوله . .

ومنها وجود عصابات وظيفتها إغراء الأطفال وتدريبهم على الجرائم بوسائل شيطانية لا يستطيع هؤلاء الصغار معرفة نتائجها في أول الأمر ولا يستطيعون الخلاص منها في النهاية . ومنها ضيق الإصلاحات عن إرسالهم إليها كالأحداث . وهذا الضيق يساعد مشكلة التشريد عن طريقين أولهما : ترك عدد من الأطفال المحكوم عليهم خارج الإصلاحات أو سجنهم في بعض الأحيان مع الرجال مما يؤدي إلى إفسادهم نهائيا . وثانيهما : حشر طوائف الأحداث المختلفي المشارب في دار واحدة فبأخذ بعضهم من بعض ويزدادون استعدادا للجرائم جديدة لم تنهأ لهم معرفتها في الخارج فيعمرها بعضهم من بعض في داخل الإصلاحية نفسها ! وليست هذه الأسباب التي ذكرناها إلا "عينة" من الأسباب الكثيرة الأخرى ، وهي "عينة" تعتمد على الحدس وعلى الظواهر طالما أن ليست لدينا إحصائيات مفصلة عن المشردين وعن أسباب التشريد الحقيقية وظروف كل حالة .

نعم لدينا بعض الإحصائيات عن أطفال الإصلاحات وعن الأطفال الذين تعفى عنهم بعض الهيئات ولكنها لا تؤدي إلى الداية المطلوبة . وإن كانت تكفي للإشارة إلى تشعب المشكلة . غير أن الإحصائية الكبرى لازمة لمن يريد وضع مشروعات مؤسسة ودائمة لعلاج المشكلة من أساسها .

نخلص من هذا إلى رسم المنهاج الواجب لدراسة مرض التشريد بهذا المنهاج الذي نستطيع أن ندعو الأمة على أساسه للترفع ، وأن ندعو الحكومة لرصد المسال المعين ، وأن ندعو الهيئة التشريعية لاعتماد هذا المسال ولإصدار تشريعات الأخرى المساعدة على الوقاية أو العلاج .

وهذا المنهاج الضخم يجب أن يسلك الخطوات الآتية :

أولا — القيام بأعمال إنسانية شاملة لعدد الأطفال المشردين في جميع بلاد المملكة المصرية ، وأعمارهم ، وأسباب شردهم ، ووسائل معيشتهم الحاضرة . وتتضمن هذه الإحصائية كذلك عدداً من المرضى منهم بأمراض معدية أو وراثية . ومن له منهم أهل ومن ليس له ، ومن يستطيع ردهم إلى أهلهم ومن يجب إسقاط ولاية هؤلاء الأهل عنهم لسوء سلوكهم أو عجزهم عن تربيتهم . . الخ .

ثانياً — اقتراح وسائل معينة لعلاج كل طائفة من هذه الطوائف ، وضمان تربيتها ، ووردها إلى المجتمع سليمة ، وكفالة العمل لها بحيث تغدو خلايا صالحة في جسم المجتمع لا دماراً وبنوراً شائئاً . وبحيث تضمن هذه الوسائل تتبع الطفل المشرد حتى يصير قادراً على الكسب في معترك الحياة ، لا كما تصنع إصلاحيات الأحداث الآن إذ تلقى بهم إلى الطريق فياناً وفيات في سن الفتنة والطيش ، عرضة لجميع المؤثرات .

ثالثاً — وضع ميزانية دقيقة لتكاليف الوسائل المقترحة ، وتوزيعها على عشر سنوات أو عشرين حسبما تبلغ من الجسامة ، وحسبما تطيقه موارد الدولة وقسرة الأمة على التبرع في حدود معقولة .

رابعاً — اقتراح وسائل الوقاية (التي تتضح من دراسة أسباب التشريد) سواء كانت هذه الوسائل تشريعية أو اقتصادية أو صحية أو إرشادية .

ونعتقد أن هذه الخطوات كفيلة — مع صعوبتها الفائقة — بحل هذه المشكلة ، ونبنى اعتقادنا على أسباب منها ما تقدم من أن الأمة بل الدولة لم يتكشف لها بالضبط هول الكارثة الكامنة وراء الطفولة المشردة ، ولا تدرك كذلك فداحة الخسارة اليومية والسنوية التي تصيب ميزانيتها ورصيداها الخلق والقومي والاقتصادي من جراء هذا المرض . فإذا صورت لها هذه الخسارة في أرقام واضحة صحت إدراكها لها واثارت حماسها لعلاجها .

ومنها أن الأمة بل الدولة لم تنقص بالضبط أسباب التشريد ، وكل ما لديها عنها تخمينات وتقديرات ، وقد تبدو لها المشكلة مستحيلة الحل لأنها لم تلم بحقيقة أسبابها . فإذا صورت لها هذه الأسباب على حقيقتها في دراسات مبوبة ، سهل عليها أن تقدرها ، وأن ترصد لها من وسائل العلاج ما يقاومها .

ومنها أن الأمة بل الدولة لم تعرف قطعاً كم يطلب إليها من المال ومن الجهد ومن التذرع لعلاج هذه المشكلة ، وكل ما تصنعه في هذا السبيل محاولات تجريبية قد تخطئ وقد تصيب ، ولكنها على أية حال لا تشعرها بحقيقة ما هو مطلوب منها . فإذا وضعت

أولاً، الإحصائيات والأرقام ، وإذا عرفت الوسائل العملية وما تحتاج إليه من تكاليف ، فإنها ستقبل على النهوض بما يطلب إليها من ذلك كله ، وهى واثقة من نتيجة ما تسعى متطلعة إلى هدف واضح وقصد مرسوم .

ذلك خير من أن نطالب إلى الأمة تبرعات لمشروعات عائمة تحت عناوانات مبهمه . فهى لن تستجيب لنا — إلا قليلا — حين نقول لها : تبرعى لإنقاذ الطفولة المشردة . ولكنها مستجيبة بحماسة وبصيرة حين نقول لها : فيك أيتها الأمة كذا من الأطفال المشردين ، تخمسين بسببهم فى الامم كذا من الجنيتات ، وكذا من الزوة الخلقية والصحية والاجتماعية وأسباب تشريدهم هى كذا وكذا ؛ ووسائل علاجهم هى كيت وكيت ، وتكاليف هذه الوسائل هى كذا من النقود ، وكذا من التبرعات ، وكذا من الجهود .

وإننا لنستطيع فى هذه الحالة وعلى هذه الأسس الواضحة أن نطلب الى البرلمان تخصيص جزء معين من الميزانية فيستجيب لنا كما استجاب لمشروع تحسين الصحة القروية ، ونستطيع أن نطلب اليه إقرار ضرائب خاصة لهذا الغرض فيجعل كل معارض فى فرضها من المعارضة ، ونستطيع أن نطلب اليه سن تشريعات تتناول حياة الأسرة مثلا أو حياة العمال أو ضمانات للطبقات المحتاجة ، فلا نجد معارضة داخل البرلمان أو خارجه فى من هذه التشريعات لوضوح الغرض منها وظهور أهميتها بالدراسة والإحصاء . وإننا لنستطيع أن نجعل الجهد — بعد المال — ضريبة على القادرين عليها من موظفى الدولة أو سواهم ، فلا نجد مماثلة ولا اعتراضا بعد نشر هذه الإحصاءات واقتناع الناس بضرورة المساهمة فى مشروع قومى عظيم .



هذه هى الطريق الواضحة الموصلة الى النجاة ، وهى طريق طويلة وشاقة وبطيئة النتائج ، ولكن سلوكها ضرورى ومتمم ومضمون العاقبة .

ونحن حين ننصح بسلوكها ، وحين نقول : إن الجهود الحالية لا تؤدى الى الغرض الكامل ، لا ننصح بأن نقف الهيئات الحاضرة جهودها ، فيجب أن تسير هذه فى طريقها حتى تم الدولة أو الهيئة المختارة دراستها وبحوثها ، واقتراح وسائلها ووضع ميزانيتها . وعندئذ يمكن أن تضم هذه الهيئات بعضها الى بعض ، وأن تكون وحدات من الجيش الذى يجرى ليدان كله ، وهو مستكمل العدة واضح الخطة مرسوم المنهاج .

فإذا استطعنا أن نتناول كل مشكلة من مشاكلنا بهذا الأسلوب ، معتمدين على الإحصاء والتجربة والدراسة ، استطعنا أن نرسم لنا سياسة نابعة للإصلاح الاجتماعى الشامل نضمن لها التنفيذ فى جميع الجهود ، ونطمئن عاينها فى التقلبات والمفاجآت ، التى طالما قضت على الكثير من صالح المشروعات .

المبادئ الأولية في مكافحة الغلاء

إحصاء الموجود، وتحديد الاستهلاك، وخفض القدرة على الشراء

لا تزال السلطات تكافح موجات الغلاء المتتابعة، ولا تزال بعض هذه الموجات تطغى على جهود السلطات .

قيل : إن الأحكام غير رادعة رفعت درجة العقوبة ؛ وقيل : إن الاجراءات التأديبية بطيئة تقصر أجل الاجراءات ؛ وقيل : إن عدد موظفي التموين قليل فزيد عدد الموظفين... ولكن تيار الغلاء مضى في طريقه يفرق المستهلكين .

وأصبح إدخال السلعة في التعريفية الجبرية نذيرا باختفاء هذه السلعة من السوق . حتى إذا حذفت منها عادت الى الظهور . جرى هذا في الزيت ، وفي الأرز ، وفي بعض أصناف اللحوم ، فكان معناه الصريح أن بعض التجار يشنون الحرب علنا على السلطات وعلى الجماهير ؛ ويحاربون الجميع بغير خوف ولا مبالاة .

وقد كان الرقم القياسي لأسعار الجملة في مصر في نهاية أبريل سنة ١٩٤٠ و١٣٦٥ فوصل في نهاية شهر يونيه سنة ١٩٤٢ الى ٢٠٩,٥ الى ٢١٥,٤ في آخر يولييه الماضي وإلى ٢٤٢,٤ في سبتمبر ثم ارتفع في ٢ أكتوبر الى ٢٤٢,٩

وكان الرقم القياسي لأسعار الجملة في لندن ١٨٥,١ في العام الماضي فوصل الى ١٩٠,٣ في آخر يولييه من هذا العام وفي ٢٥ أكتوبر وصل الى ١٩١,٥ فقط ، وسيظل ثابتا على الأقل بضعة أسابيع بالقياس الى ما حدث في الماضي .

وقد قلنا في عدد سابق من هذه المجلة ونحن نستعرض حالة كهذه : إنه " ليس من المفهوم أن تكون أرقام لندن التي تعيش من الخارج ، والتي تفرض عليها الحرب قيودا لا تنرضها على القاهرة منذ ثلاثة أعوام ؛ أقل من أرقام القاهرة . إلا أن يكون في الأمر شيء شاذ لا يجوز بقاءه ولا يفتقر وجوده " .

وهذا الشيء 'نشاذ' هو الذى نحاول علاجه فى كلمة اليوم .

توجد تسعيرة جبرية ، وتوجد عقوبة لمخالفة هذه التسعيرة ، ويوجد موظفون لضبط هؤلاء المخالفين ، وتوجد عقوبة على إخفاء السلع ومنعها من المستهلكين... وكل هذا جميل . ولكن هناك منفذا يهرب منه تجار السوق السوداء ، ويستطيعون منه أن يتحكموا فى السوق ، وأن يفلتوا من الرقابة ، وأن يعيثوا بالفتن . هذا المنفذ هو عدم ضبط الموجود من السلع فى السوق ! .

من الذى يستطيع أن يقول لهذا التاجر أو ذاك : إنك تخفى بضاعة ، وتمنعها من المستهلكين ؟ إن كل ما يستطيعه البوليس ورجال التموين هو التحرى ، الذى قد ينجح مرة ويخفق مرات ، طالما أن ليست هناك وسائل مضبوطة لحصر الموجود من السلع فى السوق .

وهذا هو الشيء الشاذ الذى فطنت له إنجلترا من أول الأمر ، مع أن حاجتها إليه لم تكن مثل حاجتنا ، فهناك تربية اجتماعية راقية ، وهناك تضامن اجتماعى عام ، قد يعصمهم من خراب الذم ومن الاستغلال الدنيء . بينما التربية الاجتماعية هنا معدومة ، والتضامن الاجتماعى مفقود ... وهناك ما هو أهم ، فالتجار هناك والمستهلكون جميعا إنجليز متضامنون فى الخير والشر ، بينما التجار فى مصر من كل جنس وملة ، ومن لا هم لهم إلا استغلال المصريين ! .

فطنت إنجلترا هذه الثغرة فقامت بإحصاء دقيق لمعظم الموجودات فى الأسواق من الأصناف الضرورية وحصرت هذه الموجودات ، وحتمت على المتاجر وعلى محال الإنتاج إسكاف دفاتر منظمة بكل ما يحد بعد تاريخ هذا الجرد وكل ما يستهلك أو يباع بالتجزئة .

وبهذا قطعت على التجار طريق التهريب والتخزين وإخفاء الموجود بقصد التحكم فى السوق . وأصبح كل تاجر محاسبا على ما كان عنده وما جدد من مشتريات وما باع من موجودات ، وعرضة للعقاب إذا ظهر فى المراجعة نقص أو تلاعب .

وبعد عملية الجرد لا قبلها سنت التسعيرة الجبرية ، ووضعت الأسعار المناسبة للدفعات المتتالية من كل صنف ، فأصبح للصنف الواحد فى البضاعة عدة أسعار بحسب تاريخ وروده لدجلات التجارية ، وأصبح المستهلك يدخل لمحل التجارى فيجد بطاقة على ثوب من القماش مثلا ثمن المتر منه عشرة قروش ، فإذا انتهى هذا الثوب واحتاج الى نكدة من ثوب آخر ورد متأخرا اشترى المتر منه بأثنى عشر قرشا . والبائع لا يحاول أن يبيعه المقدار الأول بسعر المقدار الثانى ، لأن دفاتره ستفضحه إذا ارتكب هذه الجريمة ، أو لأن له ضميرا لم يتعفن كضمائر تجار السوق السوداء فى وادى النيل !

وكان لا بد من ضبط لموجود، حتى تتمكن محاسبة التجار بحاسبة دقيقة، فكانت الخطوة الثانية في نظام التكوين الانجليزي، وهي لتوزيع بلبطاقات لكثير من أنواع الاستهلاك . والواقع أن هذا الإجراء جزء مكل للإحصاء الأول، وإلا تعدر ضبط الأمور في التكوين .

وعلاوة على أنه جزء مكل للإحصاء، فقد كان لازما لتحديد الاستهلاك ومنع التخزين حتى لا يترك الأمر للقدرة على الشراء وحدها وهي تتفاوت بالنسبة للطبقات وللأفراد، والمغنون في هذا التفاوت هي الطبقات المعاملة التي تهض بمبء الإنتاج .

وزيادة في تقريب الفوارق بين الطبقات في الاستهلاك حددت الكميات بتمنأ لا ينوعها، فمثلا أعطى الحق للفرد في أن يشتري من النكسوة ما ثمنه كذا، وأن يشتري من اللوم ما ثمنه كذا، حتى لا يستطيع الأغنياء شراء الأنواع الأجود لو قيل كذا مترا من القماش وكذا أفة من اللحم، وبذلك يستأثرون بالطيبات لأنهم أغنياء !

ثم كانت الخطوة الثالثة وهي تحديد النقود كما حددت السلع، لأن كثرة النقود وارتفاع المقدرة على الشراء، قد تطعى على قيود الاستهلاك على الرغم من دقتها، وبذلك ترتفع الأسعار نتيجة عدم التوازن بين كثرة النقود وقلة السلع . ففرضت الضرائب الإضافية العالية على الأرباح في حدود معينة ولما رأى أن هذه الضرائب العالية التي بلغت ٩٥٪ في بعض الحالات لم تكف لتحديد الأرباح، فرض حد أعلى للدخل هو ٢٠٠ جنيه في العام وما زاد على ذلك فإلى خزانة الدولة، متعا للتضخم، وللإثراء الفاحش على حساب الظروف الاستثنائية .

وبهذا وذاك وذلك قضوا نهائيا على الغلاء المصطنع، وضبطوا حركة التكوين، وخطوا خطوات واسعة في التهيؤ للعالم الانساني الجديد .



والآن فلنلق نظرة على مصر . فنجدها قد بذلت كل جهد في مكافحة الغلاء فم تتيج كما ينبغي ونسال عن السرفتره واضحاً في إهمالها الأخذ بهذه الخطوات .

فإذا صححت النية على مكافحة الغلاء الذي يشكو منه الجميع، فهناك المبادئ الأولية في مكافحة الغلاء، وهي التي عنوانها هذا المقال : إحصاء الموجود، وتحديد الاستهلاك، وحفض القدرة على الشراء . ولنقل كلمة قصيرة عن كل من هذه الإجراءات :

إحصاء الموجود : كان يجب أن نبدأ بهذا الإحصاء منذ أن قامت الحرب، وكان هذا الإجراء — أو تم — يوفر علينا كثيرا من المتاعب التي عانيناها ونعانينا الآن . ولكن ما فات مات، وعلينا أن نتدارك الآن ما فاتنا من قبل بلا إبطاء .

ونحن وانفون من أن التجار في مصر لن يذعنوا لهذا الإجراء ، ولن يسهلوا مهمة لسلطات بل سيذاون كل ما في طوقهم للتهرب والإخفاء ما يستطيعون إخفاءه . كما أننا نقدر عدم إمكان الدقة من ناحية أخرى وهي فوضى طرق التجارة في مصر وعدم وجود دفاتر منظمة لدى الجميع يمكن ضبط الحسابات منها ومعرفة الموجود والمنصرف في توازيم ثابتة ، وكذلك عدم ضبط مقادير الانتاج المحلية من جميع الأصناف ، وأنه اذا أمكن ضبط الواردات عن طريق الجمارك فسيبطل الانتاج المحلي عسير إلا في بعض المصانع الكبيرة ... الخ .

ولكن هذا كله لا يجوز أبـ يعمدنا عن التقييم بإجراء ضروري لا يمكن ضبط حركة التموين بدونه مهما بذلنا من الجهود .

والذي نتمترحه أن نجد الدولة جميع موظفيها الحسابيين والإداريين فوق موظفي الإحصاء بإشراف مصلحة لإحصاء فترة من الزمن لإحصاء الموجودات في جميع أنحاء البلاد . ولا ضرر من تعطيل مصالح الدولة الأخرى فترة من الزمان ، نفرض أنها عطلة أحد الأعياد أو العطلات الكثيرة التي تتخلل العام . فكل عمل من أعمال الدولة اليوم لا يبلغ في أهميته [وضرورته مبلغ التموين ، في الحاضر القريب والمستقبل البعيد .

وصلى هؤلاء الموظفين — وهم يعتون بالألوف — أن يحددوا مخازن التجار والمصانع الكبيرة والصغيرة ودور الانتاج على اختلافها ؛ وأن يرصدوا جميع أصناف الموجودات في دفاتر خاصة ، وأن يكلفوا التجار الاقرار بما في هذه الدفاتر ، وموالة رصد ما يجد من كل صنف وما يستهلك كذلك مع حفظ الوثائق التي تثبت الاستهلاك .

واذا عز أو ثقل رصد جميع الموجودات فيمكن أن يتبع هذا النظام بالنسبة للواد الضرورية التي يؤثر ارتفاع أسعارها في حالة جميع السكان ؛ واذا لم تكن الدقة ممكنة ، فن المستطاع عمل إحصاءات تقريبية تفيد على كل حال .

وفي اعتقادنا أن لهذا الإحصاء ضربة أخرى — فوق مكلفة الغلاء — وهي معرفة حالة التموين بالضبط أو بالتقريب ، فتي عرفت كمية الموجود وحسبت كمية الاستهلاك كانت الدولة على بصيرة من الأمر واستطاعت أن تتلافى أنقص بالاستيراد في الوقت المناسب ، وأن تعالج الزيادة بالتصدير في الوقت المناسب كذلك . وفي هذا ما فيه من اتقاء المخاطر في حينها ، واتماز فرصة التصريف في إبانها .

ونعتقد أن كل جهودنا سذهب هباء قبل أن نتخذ هذا الإجراء الأولي . وهذا وحده كفيلا بأن تقدم عليه مهما كلفنا من الجهود ومن الوقت ، فهو أشبه بالعملية الجراحية الناجمة ، وإجراءتنا الحالية أشبه بالمخدرات والمسكنات ، قد تبدو أقل كلفة ولكنها في مجموعها أكبر نفقة وأقل فائدة .

تحديد الاستهلاك : غير أن الاجراء المتقدم يندو عديم الجدوى إذا لم يتبعه الإجراء المكمل له وهو تحديد الاستهلاك . والمشهد الآن أن هناك فئة قليلة من انقادرين لايهمهم الغلاء ، لكثرة النقود في أيديهم ، فهم يحصلون على جميع ضرورياتهم بنسب مرتفعة ، ثم لا يكتفون بسد حاجتهم الموقوتة بل يزيديون عليها للتخزين بحجة الاحتياط للمستقبل . وهذه الفئة المحدودة هي التي تشجع التجار على المغالاة في الأسعار لأنهم يجدون شاربيا مهما ارتفع السعر .

وبجانب هذه الفئة القليلة ملايين كثيرة محدودة الموارد ، تعجز عن الشراء لضيق مواردها ، ثم هي لا تجد من السلع في السوق ما يسد حاجتها — على فرض مقدرتها على الشراء — لأن الفئة القليلة القادرة قد استنفدت معظم الموجود في السلع في الاستهلاك الحاضر والتخزين للمستقبل .

ولا علاج لهذه الحالة إلا بفرض التوزيع بالبطاقات على جميع الضروريات ، وبذلك لا يستطيع كل فرد أن يحصل على غير النكية المقررة له . وإذا سلك وسائل أخرى — كما يقع الآن — لزيادة ما يشتريه ، فإنها تكون حالات استثنائية تمكن محاربتها بوسائل من نوعها !

إلا أن نظام البطاقات — فيما يبدو — لم يستقر بعد بدليل تصارب الاجراءات فيما يختص بتوزيع السكر ، والأخذ بنظام ثم العدول عنه لعدم استكمال الاجراءات ، ولكن هذه عيوب موقوتة مصيرها للزوال وانتظام الحال ، فالأخذ بنظام البطاقات في جميع الضروريات ممكن ، وليس من مستحيلات هذا الزمان !

وهي تم الأخذ بهذا النظام أمكن ضبط المستهلك كما ضبط الموجود من السلع ، وبذلك يصبح إخفاء السلع من السوق متعذرا أو صعبا ، فينتزع من أيدي التجار السلاح الذي يشهره في وجه التسعيرة ووجه السلطات ووجه المستهلكين . ويوجه الجهد الذي يبذل الآن للتحرى عن أمكنة البضائع المخترنة والمهربة ، إلى البحث في ضبط حسابات الصادر والوارد إلى المتاجر . ولا سيما متاجر الجملة ومحال الإنتاج وهي العامل الأول في رفع الأسعار .

ولأنه سلاح خطر تضع الجهود عبئا في مقاومته ويتحكم به التجار في الأسعار تحكما لا يجوز أن تصير عليه حكومة ، فهو الفوضى والمروق والخروج على القانون فلا مبالاة .

وعندئذ تصبح فواتير البيع هي مستندات تجار الجملة ، وكوبونات التوزيع هي مستندات تجار التجزئة ، على مثال ما تصنع وزارة الصحة مع مخازن الأدوية والصيديات بالنسبة للأواد المخدرة والمنوعة الداحلة في تركيب الأدوية .

خفض القدرة على الشراء : ولكن احتساء الموجود وتحديد الاستهلاك أن يضمنا العلاج الكامل ، لأن زيادة مقادير النقود المتداولة بسبب الظروف الاستثنائية ، عامل طبيعي من عوامل الغلاء تصعب مقاومته إلا بعامل مثله .

فلا بد إذن من خفض القدرة على الشراء بسحب النقود وخفض الإيراد . وإذ إنه لعجيب أن يكون أقصى دخل في بلاد غنية كالبحر هو ٢٠٠ جنيه في العام . بينما يوجد في مصر الفقيرة من يبلغ دخله هذا لرقم في الشهر وربما في الأسبوع . ثم يوجد في مصر من يشير بعدم زيادة الضرائب على الأرباح الاستثنائية !!

وإذا جاز لرجل من الأثرياء المتنفعين بهذه الظروف أن يرفع صوته مناديا : ” لا تحاربوا الغلاء ” فإنه لا يجوز للدولة أن تستمع لمثل هذا الصوت المنبعث من الأنانية وحس الذات ، وهي مسئولة عن الملايين ، لا عن هذا المحظوظ وحده ولا عن أمثاله المحظوظين !

ولحسن الحظ أن ليس رأى هذا الثرى هو رأى جميع الأثرياء . فها هو ذا رجل اقتصادى كبير كدولة صدق باشا يشير بتقليل النقد وزيادة الضرائب على الأرباح الاستثنائية ، وهو رجل لا يظعن فيه بأنه ضد طبقة الأثرياء !

٣

هذه هي المبادئ الأولية لمكافحة الغلاء . وبعد الأخذ بها يجوز أن ننظر في الوسائل الأخرى كوضع التسعيرة الجبرية ، وفرض العقوبات على المخالفين ، وتعيين أكبر عدد من الموظفين لضبط هؤلاء المخالفين . وهو ما نحاوله الآن .

وهناك وسائل أخرى كثر الحديث عنها وتناوناها من قبل . كتشجيع الاستيراد والتحكم في الإنتاج لتوفير الأصناف الضرورية وتفضيلها على الكماليات ، والبحث عن وسائل جديدة للإنتاج . . الخ

ولكن هذا جميعه ييىء بعد الخطوات الأولى ، إذا أردنا الحد من مكلفة الغلاء .

الألبان وانتفاع الفلاح بها في مزرعته

للدكتور محمد أمين السكري

المدرس بكلية الزراعة

يدهش الكثيرون منا عندما يذكرون الدخل الضئيل الذي يناله الفلاح الصغير سواء من عمله في حقل غيره أو كده في زراعة مساحة ضيقة يملكها أو يستأجرها ، يدهشون لضآلة هذا الدخل لعلمهم بتعدد الأنفس التي تعيش عليه .

لكن هذه الدهشة تزول أو تتضاءل عندما نرى تلك الماشية المباركة جاموسة كانت أم بقرة تشاطر هؤلاء القوم حياتهم الأولية البسيطة فتدر عليهم من بركات الرزق ما شاء الله لها أن تدر من خير يقيمون به أودهم ويستعينون به في معيشتهم وأزاقهم . هذا الخير الذي تدره الماشية هو ما نسميه نحن باللبن وينتفع الفلاح به في وجوه كثيرة أهمها ما يأتي :

أولاً — الشرب أو بيعه كسائل ثانياً — صناعة الزيت ثالثاً — صناعة الجبن . أما من حيث الغرض الأول وهو استعماله للشرب فبمجرد حلبه يحتفظ به في أوان خاصة إذا كان للاستهلاك العائلي في حالة البيوتات الكبيرة أو تحمله الفلاحة في متردها إلى أقرب مدينة أو قرية لبيعه .

أما الغرض الثاني من إنتاج اللبن فهو صناعة الزيت ثم تحويلها إلى سمن . وتعتبر هذه الصناعة أهم الوسائل جميعاً للانتفاع باللبن في ريفنا المصري حيث تقاس كفاءة الماشية في الإنتاج بمقدرتها على إنتاج كمية معينة من السمن في وقت محدد ، فسمع الفلاح يقول عن ماشيته بأنها سمانة أى غزيرة الإنتاج للسمن وأولى خطوات صناعة الزيت هي المعروفة بالترقيد ، وذلك بأن يترك اللبن فيما حلب فيه من متارد وتوضع في مكان هادئ حتى ترتفع القشدة التي تقشط من على السطح وتوضع في أوان خشبية مفرطحة تسمى بالقصعة ، ثم تضرب باليد حتى تتكون الزبد وهذه تسج بدورها إلى سمن . أو قد يلجأ في صناعة الزيت إلى استعمال قربة من جلد الماعز يخض فيها اللبن بعد تخميره إلى حد ما . ويتخلف عن هذه الصناعة ناتجان ثانويان هما اللبن الرائب والخيض أى اللبن الحض . ويجهد الفلاح بطريقة البسيطة أن ينتفع بها إلى أقصى حد يمكنه . فاللبن الرائب وهو المتخلف في المترد بعد قشط القشدة يستعمل في صناعة الجبن القريش فيصب هذا في حصير

يعلق حتى يصفى الشرش . ثم تملح وتكون حينئذ صالحة للاستهلاك أما اللبن الخض فينتفع به في عمل المش المألوف عندنا جميعا ويجرى عليه قبل ذلك ما يسمونه عملية التعطيس وهى عملية التركيز البندية وذلك بوضعه في متارد جديدة حتى تتشرب هذه بفسه كبيرة من مائته فتمسك الطبقات السفلى ترسب بروتيناته التى يطلق عليها عرفيا اسم المواد الزلالية فتوضع المتارد بعد ذلك بمأ فيها في أفران مدة نصف ساعة أو ساعة وتكون الجبنة قد عبثت أثناء ذلك في " البلاص " فيوضع عليها المخيض المعطس بعد وضع الملح وغيره مما هو مستعمل في هذه الحالات نكميرة المش وعرق الخلاوة الخ . . . وبهذه العملية أيضا يستند بسد مسام المتارد الجديدة قبل استعمالها حتى لا ترشح اللبن ويطلقون على هذه العملية لفظة توديك المترد وقد يستعمله بعض العائلات الأخرى في إطعامه للدواجن وخصوصا الدنادى حيث يلاحظون فائدته في إنتاج لحم جيد ناصع ليابض كما قد يستعملونه في عجن فطائر الذرة للرعاة بدلا من اللبن الحليب . وبتسييح الزبد انى سمن تنفصل المرة وهى عبارة عن مواد اللبن الزلالية المترسبة مع ملاحه وملح الطعام ونسبة عالية من الدهن ، والمرة هذه غذاء مركز ومغذى للغاية به نسبة كبيرة من الفوسفات كما أن مواده الزلالية سهلة الهضم ويأكلها الفلاح بشراحة مع الفول المدمس أو الفطير الدماسى أو قد يضيفها للمش . والغرض الثالث من إنتاج اللبن هو صناعة الجبن وهذه الصناعة محدودة جدا بين فلاحينا

لا يلجأ إليها إلا من يملكون عددا كبيرا من المشاشية . أما السواد الأعظم من الفلاحين فصنعهم للجبن قاصرة على صناعة الجبن القريش كما سبق أن ذكرت ، ويتخف عن صناعة هذا الجبن أو ذاك السائل الناتج من التصفية وهو المعروف باسم الشرش ويستعمل الفلاحون هذا الشرش في تخليل مخلاتهم بعد إضافة الملح اليه إن لم يكن به ملح .

هذه الصناعة موجهة جدا لطرق انتدفع فلاحينا بالإنهم في المزرعة . وإذا أعنت النظر فيها وجدنا بها كثيرا من المعايير الممكنة إصلاحها حتى يمكن تحقيق غاية هذا الانتفاع الى أقصى حد ممكن مع تلافيها للأخطار التى قد تنجم عن اللبن ومشتقاته إذا انتجت بدون احتراز وتدقيق ، وسأقصر حديثي بإيجاز أيضا على تلك المعايير وعلاجها الميسور إذ لا فائدة في التحدث عن أقصى ما وصل اليه العلم ما دام فلاحنا ضيق ذوات اليد بمحدود الوسائل .

وأولى خطوات الإنتاج هى الحليب وهذه كغيرها من عمليات صناعة اللبن تناط بها المرأة . فإليك ياربة المزرعة أوجه حديثي :

إذا اعترمت حلب ماشيتك فبادرى أولا إلى خلع ذلك الرداء الذى كنت من ساعة أو بعضها تبسينه وأنت تنظفين الزريبة أو تصنعين أقراص المسكة أو البلمة وارتدى غيرها نظيفة ، وأظنك لن تعدى هذه الوسيلة ، فأكثر انظن أن عندك رداءين لتخصصى لكل عملا يناسبه كما أظنك لن تعدى وسيلة من غسل يديك مع غسل ضرة المشاشية بخرقة مبللة بالماء — هذا كله كى لا يتلوث اللبن بالروث ، وأظنك وأنت تعتقدين بحرمة وطئه أو تخطيه بقدميك ستضعين عليه أن يلوث بأفذر القاذورات وهو الروث .

أما بخصوص المترد الذى تحلبين فيه فمن حسن الحظ أن هدتك الطبيعة الى ما تسمونه بعملية السط وهو وضع المترد فى القرن بعد غسله وهذه عملية تعقيم جيدة لا أن لى ملاحظة على هذه العملية أو على ما يشاع حولها من خرافات ، تلك هى الخرافة المعروفة عندكم ” بخلة المشية “ لنسمع عند زيارتنا للريف بأن خلة جاموسة ما لا تأتى على قش الأرض أى أنها تحلب أقل من المعتاد وتعطى سمنا أقل لو استعمل قش الأرض كوقود فى ” السمطة “ . هذه فى الواقع خرافة - يتسبب عنها امتناعك عن تعقيم متردك إذا خلا جرنك أو بيتك من الوقود الذى هو خلة المشية . فلا تبالى سيدتى بهذه الخرافة واستعملى فى إيقاد فرنك أى نوع من الوقود ما دام فى هذا تنظيف لمتردك .

أما إذا تركت لبنك فى المنارد حتى تطفو القشدة تستعملها فى صناعة الزبد فلا تتركها فى مكان قدر بل يجب أن توضع فى حجرة نظيفة باردة نوحاً بعيدة عن العبار فلا تكنسها وبها المنارد حتى لا تثيرين فيها العبار فيساقط فى اللبن ، كذلك باعدى بين زرائب المشية وبينها حتى لاتصل الى اللبن روائح الروث وذراته فتفسد عليك عملك ، وحذار أن تتركى المنارد مكشوفة بل غطيها بقطعة من القماش النظيف حتى لا يصل اليها الذباب فيصاب الكثيرون ممن يتناولون من محتوياتها شيئا بالحليات وقد يكون من بينهم زوجك الذى تقدرينه أو ولدك الذى تعزينه .

أما إذا قت بصناعة زبدك نغذى قصعتك أولاً واغسنيها وادعكيها بالماء والملع جيدا ثم الماء الساخن ثم صبي عليها قليلا من الماء المغلى حتى يعم جميع أجزائها ثم برديها ثانيا بالماء البارد . أما خضك القشدة بيدك فهذا أمر معيب شائن إذ قد تكون يدك قدرة وأنت لاتعلمين وحتى بعد غسلها بالنظافة غير مؤكدة ، وما ذا عليك لو استعملت بدلا من يدك هفرة خشبية قد غسلت كما غسلت القمصنة فهذا أبظف لك وللمستجائك كما أنه عمل غير عسير .

كذلك لكى تضمنى حصولك على زبدة جيدة تمش مدة طويلة نوحاً دون تلف فتبيعها فى ” الأسواق كزبد وهذا أرباح لك وأرباح ، فتصيحى اليك ألا تستمرى فى الخض حتى تتكحل زبدتك وتكون كتلا كبيرة يتداخل فيها الخفيض فيتلها . بل يجب أن توقى الخض عند ما تحبب الزبدة وتصل فى حجمها الى حجم الخرز الصغير فى عقدك أو حجم حبة البرسيم . عندئذ صبي عليها ماء بارداً يكون قد مضى ليلته فى الزير على سطح متردك ثم خضيها قليلا جدا . وصبي عنها الخفيض واغسليها ثانيا بالماء البارد اسالف الذكر ثم ملحيها واستمرى فى عملك المعتاد . وروحائى إلى من يستعملن القربة أن يقلعن عن ذلك بتاتا فهى طريقة قدرة يتعذر إصلاحها ما دامت القربة صعبة التنظيف . أما المخض الفخار فلا بأس به مادام يستعمل فى غسله وسمطه طريقة غسل وسمط المترد ويحسن كثيرا أن يكون مطايا من الدخيل على الأقل .

هذه يا سيدتى أهم ما عندى من ملاحظات لإصلاح طرق عملك حتى يكون انتفاعك بلبنك ومتجاتك بالغا أقصى . وهناك من الملاحظات ما هو أبعد أثرا وأجل خطرا ، تلك هى

مراعاة الوجهة الصحية في إنتاجك. فكثير ما تسمعين بأن عائلة بأمرها قد مرضت والعياذ بالله بمرض واحد كحمى التيفود مثلا. وإذا بحث قليلا وجدت أن السبب هو تناوؤهم اللبن خضرة حتى يمرض صغارها بنفس المرض. إذن فقد استقل إليهم المرض من صغيرها عن طريق اللبن فهل تعتقدين أن هذه جريمة قد جنتها خضرة؟ ألا كان يجب عليها أن تباعد بينها وبين ولدها بنقله إلى المستشفى؟ أو حلا كان يجب عليها أن تغسل يديها جيدا وتطهرهما كما اعتزمت أن تقرب المشاية أو اللبن؟ وإن ساعد بين كل آنية قدمت لابنها وبين اللبن فقد يتهاون الناس خطأ في غلي اللبن قبل استعماله.

وعلى ذكر الغلي أذكر لك عادة قبيحة جدا شاهدها بعيني في الريف تلك هي تهافت الأشخاص بكرا كانوا أو أطفالا إلى شرب اللبن بمجرد حبه وعليه تلك الرغبة المغرية. نرى هذا كثيرا ونسمع به وبعد قليل نجد أفراد الأسرة يمرضون تباعا بأخبت الأمراض جميعا وهو السل — وقانا الله شره — يعجبون لذلك ويدهشون ويذهبون في ذؤوبه شتى المذاهب فمن قائل إنها عين ومن قائل إنها الأسباد والمتقف نوع يعزوها للورثة، والواقع أنه في كل الأحوال ليس السبب بين الأولين، وغالبا ليس السبب هو الثالث، إنما هي تلك المشاية العزيزة عليهم تهدي إليهم هذا الوباء في لبنها وهم لا يشعرون، وقد تبقى عندهم طويلا فتنتقل ناقلة للمرض بينهم تذهب بحياة ضعيفهم وتهدد قويمهم، فلو أنهم غلوا لبنها دائما لنجوا من شرها فولى أن تسن القوانين لاستبعاد مثل تلك المشاية وتنفيذ نصيحتي إليك أيتها السيدة ألا تتناولى أو تظعمي عائلتك لبنا غير مغلي. أقلنى عن هذه العادة حتى تسلمى وتسلم عائلتك بذن الله.

من حديثي هذا الموزقيين إلى أى حد يمكن أن ينتفع بفلاح بالبائنه على بساطته وبساطة وسائله فقد انتفع بالمال الذى وسع عليه رزقه ببيع الفائض عن حاجته.

أما من الوجهة الغذائية فهذا موضوع آخر يجب أن يفرد بعدة أحاديث إلا أنه يكفى الإشارة إليه هنا بأن أهم سبب لاحتفاظ الفلاح بصحته إن أبتتها عليه الأمراض الممثلة بابتعادها عنه هو تناوله لقطعة صغيرة من اللبن القريش أو قليل من الرائب يوميا حتى لعله لم يترك القشدة إذ لولا ذلك — مع علمنا بسوء تغذية الفلاح — لما وجدنا في فلاحينا القوة ما يمكنهم من مجهودهم الشاق كما نعرفه جميعا.

أما من الوجهة الاجتماعية فعمل امرأة الفلاح واشتغالها بصناعة اللبن يعتبر خير مثل للتعاون النافع بين الجنسين. يحفظ عليها نشاطها ويشغلها عن مشاغبة زوجها ومطالبته بما ليس في مقدوره. يحبها إليه ويشهره بصورتها له في منزله. وعلى ذلك فهو مشترك في المصلحة وليس كاشتراك بنات المدن الخالي من التعاون وتبادل المنفعة. اللهم إلا في الصرف على كلياتهن النافهة وهكذا طبع مظاهر الحياة بطابع التباين حتى في صلة الرجل بالمرأة فذاك قائمة على خير المجتمع وعمرانه وهذه على فسادهم والاضرابه وكل ميسر لما خلق له.

الدكتور
أمين محمد نسكرى

الخيالات الباطلة

والأوهام الفاسدة

للاستاذ محمد أبو بكر إبراهيم

المفكر بوزارة المعارف العمومية

حينما تطفئ الحياة بأمواجه العنيفة، وتشد بتاراتها الجارفة، يحاول المرء الهروب منها، والتخلص من متاعها وآلامها، فيجلس أحيانا جلسة هادئة في مكان منعزل بعيد عن الضوضاء والجلبة، ويختلس جانبا من أوقات فراغه ليناجي نفسه بأشهى الأحاديث وأعذب الآمال والأحلام، وليرضى لذته العقلية بالكوف على ألوان من التخييلات، وأنواع من الآمال، فتراه تحسبه صامتا وهو في الحقيقة ناطق متكلم، وتظنه ساكنا، وهو في الواقع متحرك وصدره جياش بالخواطر المتواردة، والأفكار المتواثبة.

ينمض عذبه إغماضة خفيفة حتى يداعبها الكرى في رفق ولطف، ثم يستمرسل في تفكيراته الحرة التي لا يحدّها حد، ولا يقيدّها قيد، ويتماهى في خيالاته الطليقة التي لا تخضع لإرادة، ولا تستمع إلى قانون أو نظام. فتجىء الفكرة تتبعها الفكرة، والخاطرة تسابقها الخاطرة، ويؤلف الخيال من كل ذلك صورا براقة لمساء يتكوّن من مجموعها منظر ساحر عجيب يجمع بين عواطف الماضي ولذات الحاضر والمستقبل، فلا يتماثل الإنسان أن يتأملها تأمل العاشق الولهان، وأن ينظر إليها بعين خياله ليتناسى بها الحقيقة المرة والماضي المؤلم، ويضع منها تصميما لمستقبل خير من مستقبله، وحياة أهدى من حياته. ويقنع بهذه الصور الخيالية وإن كانت أحلاما بعيدة كل البعد عن الواقع المألوس، ويكتفى بهذه الروائع الذهنية وإن كانت من نسجه ومن عمل خياله ولا تتطابق مع الحياة الواقعية.

وأكثر ما يكون هذا النوع من الأحلام عند ما يصطدم المرء بعذرة الواقع ويحد أنها لا تنكسر ولا تلين، ويوجد الدنيا قاسية جافة لا رحمة فيها ولا شفقة، ويحد كل شيء في الوجود عابسا صاخبا، فيفر من كل أولئك فرار الجبان المهزوم ملتجئا إلى هذه الأحلام اللذيذة التي تسرى عنه همومه وكروبه. وتنسيه آلام الحياة وما فيها. وما أشبه هذه الأحلام بالندمة المسكوبة يرسلها الحزين فينسى حزنه. والمرضى فينسى مرضه، والفقر فينسى.

فمن رزئ في ماله بخسارة فادحة، وضاق به سبل العيش وجد في طبيعة نفسه ما يسليه بعض التسلية، وينسيه ولو في فترة قصيرة آلام تكبته، وحرارة خسارته: تأتيه "أحلام اليقظة" فينشط خياله نشاطا عظيما ويرى رواية أشبه ما يكون برواية الخيالة "السينما" تهافت فيها الصور الواضحة عن الكنوز والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيال المسومة والأنعام والحراث. وإنه بهذه الصور الخيالية يخلق في أجواء بعيدة عن أجواء

الحياة ، ويسبح في عالم لا يرتبط بعالم الحقيقة . ويطيب له أن يحيا حياة خيالية يخلفها كما يشاء ، ويصورها كما يريد ويستهي . هذه الأمانى للحلوة المسبولة التي يستطيعها المرء في أيام محنته وبلائه ليتخلص بها من عذابه وشقائه ، ويستمرل في التفكير فيها استرسالا غير مقطوع يسمى أحلام اليقظة . وبها يبني قصورا في الهواء ، ويتخيل أن السراب هو الماء ، ويصور لنفسه حياة طيبة مهيئة بالطرائف واللطائف ويعيش في دنيا لا نظير لها ولا مثل ، فيجد اللذة الخيالية غلبة على نفسه ، تسليه في يومه وفي غده ، وتنسيه ما كان من ظلام أمس .

وهذه الأحلام مقبولة مستساغة ما دام المرء لم يستمرل فيها هذا الاسترسال الذي يقصيه بعيد عن الواقع ، ذلك لأن التماهى فيه خطأ أى خطأ . يجعل صاحبه أليف الراحة والكسل ، ضعيف الإرادة والفكر ، قليل العمل . وهذا مرض نفسانى تجب معالجته قبل أن يستفحل دأؤه ، ويستعصى برؤه وشفاؤه ، ويجعل صاحبه حليف النوم والأمانى .

ذلك لأن الشخص الذى تغلب عليه نزعة الأمانى الكاذبة . والأحلام الباطلة . يتجه اتجاها طائشا . ويطمع في غير مطمع ، ويرعى في صحراء مقفرة لا تنبت شيئا فلا ينال مآربا ، ولا يحقق عرضا ، ولا يعمل عملا وهذا هو لمرض بعينه .

وكذلك من الأمراض النفسية : الأوهام الباطلة الخيالية التي تنشأ من الرعب والخوف الشديد ، ومن الخذر وتوقع الخطر ، ومن لقلق المستمر ، ومن التشاؤم في الحياة . فهذه آفات تدخل على القلوب كما تدخل السموم في الدماء فتسدها وتعطل وظائفها ، وتجعل العقل في اضطراب وفوضى ، وتولد في النفس الأوهام المزعجة . هذه الأوهام تصور الحياة بصورة بشعة ، فيتخيل المرء أن الأرض حريئة ، وأن السماء كذبية ، والفضاء ضيق ، وأن النور ظلام ، وأن الحياة موت . ويتوهم الباطل حقا ، والحق باطلا . فإن قام نهي تناقل ، وإن مشى ففي اضطراب وضعف ، وإن جرى ففي غير قوة وبدون رغبة . صوته ضعيف خافت ، ورأسه مائل مائو ، يؤثر أن يجلس منفردا غارقا في نفسه مهما يكن حمله ثقيلا ، وهمه طويلا . وقد ياتى هذا المسكين من ذوى قرابته ورؤسائه وجيرانه غلظة وقسوة وشدة وجفوة ، فيزداد مرضه النفسي ويتوهم أن الكون بما فيه يناوئه ويغديه . ويتخيل أن العالم كله يتربص به الدوائر . ومن ثم تشد مخاوفه ، ويزداد جبته ، ويسوء تفكيره ، وتظلم الدنيا أمام ناظره . وهذا شقاء ليس بعده شقاء . فيقلب متشائما لا يثق بأحد ، وموسوسا لا يطمئن إلى أحد ثم ينقطع عن مجتمعه انقطاع اليأس المحسور . وقد نهد نشاطه ، وفترت همته ، وضعفت صحته ، واضطربت أعصابه وساءت حاله ، وصار كالريشة تلعب بها الريح وتسيرها كيفما تريد . فلا يحسن قولاً ولا يتقن عملاً ؛ لأنه شارد الفكر مسلوب القوادى وأى مرض نفسي أعظم خطراً وأبلغ ضرراً من هذا المرض الذى يؤدى إلى الضرر الخلقى والنقص العقلى ، ويقتل الحيوية في الجسم ، وما سببه في الأصل إلا الخيال الوهمى .

فإن كانت أحلام اليقظة مدعاة إلى التناول بكل شيء في الحياة فالركون إليها باستمرار يجعل المرء نائما حالما ذاهلا عما في الوجود ، ولا يفيق من نومه وذهو له إلا حينما تتبدد أحلامه أمام الحقيقة الواقعة كما تتبدد السحابة أمام حرارة الشمس المحرقة ، فتترك وراءها

حشرات لازمة باقية . وكذلك الركون الى الأوهام يؤدي الى التشاؤم بسبب الهواجس المربعة التي تحتل القلب فتذيبه فرقا ، وتحتل النفس فتملأ فراغها بؤسا وشؤما . وكلتا الحالتين تجعلان المرء غير صالح للحياة التي تتطلب خيالا مضبوطا ، وفكرا منظما ، وإرادة قوية ، واعترافا بالواقع ، وصبرا لما يأتي به الزمان من أحداث وكوارث : فالنفاؤل الزائد عن حده شر لأنه يغري الإنسان بأودية فيحاء خضراء لا وجود لها ، والتشاؤم شر كذلك لأنه يلقي به في أودية ضيقة مقفلة لا وجود لها الا في الخيال الوهمي . وخير للرجل أن يلتزم الوسط فلا يتجاذى في تفاوله ، ولا في تشاؤمه ، وأن يكون عمليا متصلا بالحياة يفكر جذيا فيما يمكن تحقيقه والوصول اليه ليكون أمامه هدف يسعى له ، وغرض يرمى الى إصابته . وكلما وصل الى غاية قريبة اتخذ سبيله الى غاية أخرى حتى 'ذا' ما أدركها امتد أملة الى غاية بعيدة وغاية أبعد وهكذا ما دام حيا معافى سليما . فأمامه ميدان العمل فسيح الأرجاء ، وهو لا يزن يدأب مستمرا في الكد والكدح ، وكلما قارب مرحلة وجأ أمامه مرحلة أخرى .

به بهذا اسير الحازم يخطط لنفسه مثالا أعلى يعمل على تحقيقه . وما المثل الأعلى إلا الصورة الخيالية التي تحتج في بنوعها أو القرب منها الى الدأب والمثيرة والتفكير في شتى الأسباب ومختلف الأساليب وتسديد الخطوات نحو الأهداف المتنوعة التي توصل اليه ، فلا تشعب عليه المسالك ولا تختلف به الطرق كما تشعبت على الخائنين والواعمين .

وإن الجهل بأسرار الطبيعة وبحقائق الأشياء من العوامل المؤدية الى الخيالات الفاسدة والأوهام الباطلة ، فيتوهم ادرء الظواهر الكونية توها باطلا ، وينسرها تفسيرا لا يتفق مع الواقع ، ويكون لنفسه معتقدات فيها لا نصيب لها من الحق : كظواهر الرعد والبرق والسحاب والمطر والظلام والدورة الفلكية ، وهذه المظاهر لم يفهمها الإنسان القديم ولم يدرك نشأتها نخافها ، وتخيل فيها ما تخيل ، ونسب اليه ما نسب ، واخترع لها الخرافات والأساطير والأباطيل ، نتيجة لسوء الفهم والتؤويل ، ومن الغريب الطريف أن خيال الإنسان يخترع الأساطير اختراعا ثم يأتي من بعده قوم يؤمنون بها ، ويعتقدون فيها كأنما هي من الحقائق المسلم بها . ولكن العلم الحديث قد كشف للقناع عن كثير من أسرار الطبيعة فأدركها الإنسان إدراكا صحيحا مبنيا على التفكير والتعقل ، فطلت الخرافات التي كانت تسيطر على العالم بسبب الخيالات الفاسدة .

فالوهم والخوف والجهل وبساطة العقل قد دفعت الفهم في أيام الجهالة الأولى أن يعبدوا الشجر والمدر والجر والنكواكب والبحار ، لأنهم توهموا أن فيها أرواحا وآفة ، ونسجوا لها الأساطير . وإن الجهالة تدفعهم الآن الى تخيل الأباطيل ، واعتقاد أنها صحيحة صادقة . وويل للجهلاء ما

محمد أبو بكر ابراهيم
المفتش بوزارة المعارف

جيش الخلاص المصرى

للاستاذ عماد الدين عبد الحميد

المحقق القضاى ، لا تار

فى مدرج كلية الطب بالقاهرة ، وبدعوة من مدرسة الخدمة الاجتماعية فى مناسبة افتتاح هذه المدرسة لستها الدراسية الجديدة ، وقف رجل مسئول من أصحاب السلطان ، يعرض برنامجا للإصلاح الاجتماعى فى مصر ، هذا الرجل هو صاحب المعالى الأستاذ عبد الحميد عبد الحق وزير الشؤون الاجتماعية .

كان المحاضر يبدو مرتجلا فى كلمته ، لكنه بدأ غير مرتجل فى تفكيره ، وهذه نقطة جوهرية ، أو هى صخرة متينة من صخور الأساس ، لمن يريد بنق أن يقيم إصلاحا اجتماعيا ثابتا مطردا فى هذا البلد .

قافة الإصلاح الأولى فى بلادنا الارتجال . يقوم الإصلاح عندنا على فكرة عابرة ، فيتغير ويتبدل ثم سرعان ما يذهب ويزول ، بفكرة عابرة كذلك ، ولذا تأخرنا كثيرا فى الوصول إلى غاية ما من الغايات ، لأن الوسائل عندنا كانت دائما مرتجلة ، فنعود بأدئين بعد أن نكون قد أشرفنا على الوصول ؛ ذلك لأن تفكيرنا وتقريرنا وتنفيذنا كان دائما — كما أقول — بطريق الارتجال ! .

لنا إذا أن نظرب ، حين نرى فى مركز صاحب السلطان رجلا له براجم ... ويطربنا ؛ أكثر أن نرى هذه البراجم — وقد فرغ من إقرار صلاحيتها — تأخذ سبيلها العاجل إلى التنفيذ ؛ على أسس رسمية نرجو أن تكون ثابتة مع الأيام .

تكلم معالى الوزير فى موضوع الخدمة الاجتماعية فى مصر ، فشرحها شرحا وافيا ، ونادى بضرورة الإنكار من إنشاء مدارسها . فكان طبيعيا أن يقابل هذا الكلام بكثير من الحماسة ، وهو صاحب الأمر ، فى العمل رسميا لتنفيذ هذا الذى يتنادى معاليه به ، وهو النقادر على تنفيذه لو أن لدى وزارته من الوسائل المادية ما يجعلها مستطيلة تنفيذ هذا الذى يدعو معاليه إليه ، ومن حق هذه الوزارة أن تمكن من هذه الوسائل ، تحقيقا للغرض الأساسى من إنشائها .

لكن لم أطرب لرأى معاليه في ضرورة الإكثار من إنشاء مدارس الخدمة الاجتماعية ، بقدر ما طُربت لدعوته إلى تدريس العلوم الاجتماعية في المدارس ، وربما كان هذا لأن هذا الطريق هو أقرب الطرق إلى خلق المجتمع المصرى السليم ، خلفنا أقرب إلى الكمال .

ولم يصالح الاجتماعى يلزم أن يبيأ له الرأى العام بكل الوسائل ، ويوجه فيه وجهة واحدة يلتقى فيها بتشريع اجتماعى قائم على عدنية اجتماعية منظمة . تشير هذه العدنية بالأخذ بالضرائب المتدرجة تدرجا معقولا ومناسدا ، وباعفاء الضروريات من الضرائب غير المباشرة والعمل على انعاش الصناعة الوطنية لتكون موردا إلى جانب المورد الزراعى . وإقرار ما يتطلبه هذا الانعاش من شتى النظم المالية والتيسرات المادية التى تشجع الوطنيين على أن يتجهوا بجودهم وأموالهم إلى ميدان العمل الصناعى ، والتى تمهد لهذه الصناعة الوطنية سبيلا صالحة تسير فيها أمنة مطمئنة بين شتى عوامل المضاربات الاقتصادية الأجنبية ، حتى تستطيع أن تقف أخيرا على قدم ثابتة بين غيرها من الصناعات ، محمية بجودتها وبأسعارها المعقولة وبوفرة إنتاجها ، ومحمية مع هذا بنظم رسمية اقتصادية ، تقوم هذه النظم على أساس إحياء هذه الصناعات وحمايتها ، ومحمية أيضا قبل كل شئ ، بروح العزم والإقدام المستلزمة من تنفيذ اجتماعى عام يشمل الوطن المصرى جميعا ، ويمثل مركزا ممتازا في برامج التعليم .

ولاجتدال في أن الخريجين في مختلف المعاهد وشتى أدوار التعليم . هم — كل في حدود بيئته — الموجهون لتفكير الجماعات وأذهان الجماهير ، ففى تنشئة هؤلاء ثقافيا تنشئة اجتماعية سليمة توجهه طيب للجيل الحاضر ، وتنشئة سليمة للأجيال المتتامة .

وتحقيق هذا الذى يدعو إليه معالى الوزير يقتضى تحقيق مادعا إليه أولا من ضرورة العمل على الإكثار من مدارس الاجتماعية في مصر . حتى تستطيع هذه المدارس أن تخرج للبلاد حاجتها من الاصلاحيين الاجتماعيين ، اللازمين لمشروعات كمشروع الوحدات الاجتماعية وغيره من مشروعات المؤسسات الاجتماعية وللارمين أيضا لتدريس علوم الاجتماع في مختلف المدارس . وهذا يتطلب أن يكون لدى وزارة الشؤون الاجتماعية من الوسائل المادية ما يمكنها من تحقيق هذا . ومن حقها أن تكون مائكة لما يلزمها من هذه الوسائل .

لكن تحقيق ما يدعو اليه معاليه من نشر الثقافة الاجتماعية في جميع معاهد التعليم يمكن أن يحىء كذلك بطريقة لا أقول إنها كافية وحدها ، ولكن أقول إنها مساعدة وإنها لازمة ، هذه الطريقة هى أن ينظر بالمنظار الاجتماعى إلى برامج الدراسة في جميع المعاهد وشتى مراحل التعليم . وأن تعدل هذه البرامج في كل ما يمكن أن تعدل فيه ، حتى تتفق كل الاتفاق ، والصوره الاجتماعية المرغوب فى الوصول بمصر إليها .

وأما كيف ينظر إلى هذه البرامج بالمنظار الاجتماعى ، وكيف تعدل بحيث تكون كذلك فلعله أمر لا يغيب عن أذهان المسؤولين .

ونادى معاليه بأن تقوم هذه العدالة الاجتماعية أيضا على أساس إصلاح الأراضى البور البالغة مساحتها نحو ثلاثة ملايين من الأفدنة ، حتى يجد فيها العديدون رزقا حلالا .

كما نادى بضرورة إيجاد اختصاصيين اجتماعيين فى جميع أنحاء البلاد وبضرورة الانتفاع فى ميدان الإصلاح الاجتماعى بأئمة المساجد وأذوى الشرع وشباب الأزهر ورجل الطرق الصوفية ، وبذلك يكون لاقران الإرشاد الاجتماعى بقوة الدين تأثير عظيم ونتيجة مرضية .

وقال معاليه إنه إذا كان يرى أن الواجب يقضى بإنشاء أندية اجتماعية فى القرى والأحياء الوطنية ، فإنه يذكر أن هذا المشروع لا يكلف شيئا ماديا بل يتطلب مجهودا أدبيا فحسب . فالمدارس الإلزامية فى القرى والقهاوى البلدية فى لأحياء الوطنية فى أبنادر والمدن ، هى أمكنة هذه الأندية الاجتماعية ، ويجب أن يرسل إليها المرشدون الاجتماعيون .

وقد صحت عزيمة معاليه على تكليف بعض الأدباء بوضع قصص تاريخية ووطنية باللغة العامية تتلى فى القهاوى بالطريقة المعروفة فى تلاوة قصة الزير سالم وأبى زيد الهلالي .

وأبان معاليه فى كلمة له بمدرسة الخدمة الاجتماعية بالاسكندرية أن خطته تقوم على الانتفاع بكل أداة ولو كان يتورها نقص ، وقال إنه يرى لإنشاء مدارس اجتماعية فى المديرىات لتعليم مدرسى المدارس الإلزامية فيها طرق الخدمة الاجتماعية ، ليكونوا مرشدين اجتماعيين فى وسعهم أن ينشروا الدعوة الاجتماعية فى أربعة آلاف قرية وفى خمسة وعشرين ألف عزبة ، وفى مقدورهم أن يوجهوا المجتمع المصرى وجهة جديدة .

هذا البرنامج الذى عرضه معالى الوزير فى كلمته بالقاهرة والاسكندرية ، يمكن أن يحقق عملا توجيها اجتماعيا جديدا فى وقت معقول . وبهذا بفضل هذا البرنامج كثير ما تسير عليه وزارة لشؤون الاجتماعية الآن من نظم عظيمة حقا — كما قال معاليه — لكنها بطيئة . فهى تعالج شؤون الفلاح — كمثل — عن طريق المراكز الاجتماعية ، وهذه تحتاج إلى ميزانية كبيرة وجهود عظيمة . فان الوزارة لم يتيسر لها حتى الآن أن تنشئ أكثر من ثمانية مراكز يقوم كل منها بخدمة عشرة آلاف نسمة ؛ وإذا سار الإصلاح فى هذا السبيل فحسب . وإذا ما استمر نصيب الإصلاح الاجتماعى فى ميزانية أدولة مثل ما هو عليه فحسب ، وجب أن تنقضى مئات السنين قبل التمكن من تعميم هذا التوجيه الجديد ، وقبل الوصول إلى نتائج إصلاحية عمالية شاملة .

كل هذه العوامل والوسائل التي أشار إليها معالي الوزير في برنامجه يمكن أن تكون جيشا كبيرا من المصلحين في مصر .

ومن المفيد كثيرا أن تشعر الدولة جنود هذا الجيش بأنهم يؤدون واجبا وطنيا عظيما ، وأنها تلمس قيمة هذا الواجب وتقدره ، فترفع من مستواهم ماديا وأدبيا معا ، وتطمئنهم على حالهم وأسرانهم ، وأغلبهم ممن يشكون كل يوم قلة أجورهم والغبن اللاحق بهم ... وعندها يمكن أن يكون من دؤلاء في مصر "جيش الخلاص" الذي أعلن معالي الوزير فكرته وبرنامجه والذي يرجو كل مخلص لو تم حشد هذا الجيش عاجلا ، على أساس سليم ، حتى تتجه الأمة — كقائمة واحدة — الى التشريع الاجتماعي الذي نادى به معالي الوزير ، والذي يقوم على أساس تحقيق العدالة الاجتماعية في مصر .

إن تشكيل جيش الخلاص في مصر ، اليوم ، في هذه الصورة الرسمية المنظمة ، أفضل كثيرا من أن يشكل غدا في غيرها من الصور ... ما

عماد الدين عبد الحميد

آلة الرياسة سعة الصدر .

ازجر المسىء بثواب المحسن .

الطمع رق مؤبد .

من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع .

من أشرف أعمال الكريم غفلته عما يعلم .

يوم المظلوم على الظالم أشد من يوم الظالم على المظلوم .

إذا ازدحم الجواب خفى الصواب .

إذا كثرت المقدرة قلت الشهوة .

كن وصى نفسك في مالك واعمل فيه ما وثر أن يعمل فيه من بعدك .

بين الكوخ والقصر

تعالى فما قال إلا "أنا"	وأفساه كل العباد الغنى
له دولة بين قصر منيف	بها اليانع الحلودانى الجنى
فأنى تر العين تلف الحناء	تمثل فيه هنا أو هنا
مقاصير لثرد الغانيات	خفوق بها الظل خفق المني
وللهو فيه وللسادرين	ملاعب كم هتكت محصنا
فيوما سكارى ويوما سهاى	وسامرهم للهدى ما انثنى
إذا شتته خاتته خالدا	وأقسمت لا يعتريه الفنا
وصاحبه بالغ فى هواه	خطمه الداء واستوطنا
ينجاوره الكوخ والساكثوه	نفوس من الصبر لن تحزنا
ثريون بين الرضا والقضا	فما إن شكوا أو بكوا موهنا
وقائدهم رافل فى صباه	ثما صده عن علاه الضنى
يسير إلى الرزق سير النسيم	رخاء ثما إن وهى أو ونى
فمس ثرى الكوخ رأس الغنى	وضاع الذى قد جنى واقنى
وطال على القصر رأس الفقير	وأين من القصر هذا السنا

البيت الذى لا يتهدم

بقلم الكاتبة زينب محمد حسين

سرنى أن قرأت فى إحدى الجرائد الصباحية تحت عنوان "دعم بناء الأسرة" أن من بين المشروعات التى أوشكت وزارة الشؤون الاجتماعية أن تفرغ من بحثها فيه هو مشروع قانون يرمى إلى دعم بناء الأسرة والتخفيف من مضار الطلاق .

امتلأت نفسى غبطة لهذا الخبر لسار واستبشرت خيرا بوزارة الشؤون الاجتماعية التى تعطينا فى كل يوم مثلا جديدا على تغفلها فى أحوال المجتمع ، واكتشاف نقط الضعف فيه . ولعمري إن هذه الوزارة الفتية كان لا بد لها من أن توجد منذ عشرات السنين كى تأخذ بيد المجتمع .

كان اهتمام وزارة الشؤون الاجتماعية فى هذا الأمر صدى لصيحات عديدة ليست وليدة اليوم . وقد كانت مقالتي فى العدد قبل الأخير من مجلة "شؤون الاجتماعية" — كماخوا مواطن الداء — تتحدث بوضوح فى مضار تعدد الزوجات وأثره فى هدم الأسرة المصرية وانحلالها ، ومضار ترك أمر الطلاق عندنا مباحا بإباحة مطلقة بلا قيد ولا شرط . وناشدت وزارة الشؤون الاجتماعية أن تعنى بهذا الأمر ، وهما هى تبرهن لنا من جديد على أنها يقظة لا تغفل عن مصالح الشعب .

وموضوعى اليوم الذى عنوانته بعنوان "البيت الذى لا يتهدم" لا يخرج كثيرا عن نطاق موضوعاتى السابقة التى تدور جميعها حول لأسرة المصرية وضرورة السمو بها إلى مصاف أرق الأسر الغربية .

فالبيت الذى لا يتهدم هو البيت الذى قوامه (رجل وامرأة) . والمرأة التى أعنيها هنا هى تلك المرأة لكاملة الأنوثة التى تعرف حق وظيفتها المقدسة فى الحياة ولا تخرج عما سنته الطبيعة لها فتراحم — غير مضطرة — الرجل فى ميادين الأعمال .

والرجل الذى أعنيه هنا أيضا هو ذلك الأسد الغيور الذى يشعرا دون كلفة أو عناء
باكتال رجولته وقوة شخصيته ، لا ذاك الذى يزاحم المرأة فى أنوثتها وما طبعت عليه من
روقة ونعومة .

ولا ريب أنه لو وجد هذا الرجل ووجدت هذه المرأة ، وعرف كل منهما واجبه
المسؤول عنه أمام الله والوطن ، وعاش كل منهما أميا على هذا الواجب ، شريفا فى أدائه
حريصا على سلامته لمأمكن لأسرتنا المصرية أن تهتدم .

وإذا سلمنا بأن التربية الأولى هى التى يتوقف عليها إنتاج هذا النوع الإنسانى الكامل
لوحدنا أن المرأة هى المسؤولة عن أخلاق أبناء الأمة ، وبين يديها وحدها مصيرها الأدبى
والمادى .

وإن كنا نضع هذا العبء الثقيل على أكتاف المرأة ، فلا ننسى أن نقول بأنه ليست
كل امرأة بالتي يمكننا أن نوليها هذه الثقة العظيمة ونركن إليها ، إنما هذه المرأة هى تلك
التي تكلمت عنها فى أوّل الموضوع ، المرأة المثقفة ، العاقلة التى تعيش فى كنف رجل كذاك
الذى تكلمت عنه فى أوّل الموضوع أيضا . رجل يعرف حقوقه وواجباته نحو أسرته ، فينظر
إلى زوجته نظرة المعلم ، والأب الشفوق ، والأخ ، والصديق . ويهذب ما يحتاج فى أخلاقها
من تهذيب . لا ذاك الذى يشجعها بضعفه على التماهى فى طرقات المحجون والاستهتار ، فيشب
أولادها على غرارها ، متشبعين بمبادئها ، متشبهين بنواحى الضعف فيها .

ولا يمكننا أن نتغاضى عن سوء نشأة أولاد الزوجات المستهترات . فإننا إذا بحثنا عن
أسباب انهيار أخلاق بعض فتياتنا وفتياننا فى مصر ، لرأينا أن السبب فى ذلك إنما يرجع إلى
تلك الحرية الخاطئة التى ينفهمونها بمساعدة أمهاتهم الفضالات مما ترتب عليه اندثار الكثير
من عاداتنا القديمة الفاضلة .

والأدلة على اندثار تلك العادات والأخلاق كثير ، يظهر بعضها جليا فى تلك الأخبار
التي تظالنا على صفحات الجرائد اليومية والمجلات الأسبوعية فى مسائل الزواج والطلاق .
فلو أننا تنبها جيدا لتلك الأخبار ، لرأينا فيها ما يدهش ، ولا شامتز نفوسنا من مثل خبر

طلاق فلانة من زوجها الرابع لاستئناف حياتها الزوجية الجديدة في كنف الخامس ، بنفس السهولة التي تخلع بها المرأة قفاها القديم لاستبداله بأخر جديد . وفلانة هذه مع الأصف ومن يشبهونها ، من طباقتنا الكبيرة المعروفة . وأخشي . انخداع في هذا الأمر ، حب التقليد الذي نراه متفشيا بشكل واضح بين فتياتنا المصريات والخوف من أن يعود علينا هذا التقليد بالعار والانهيار الخلقي .

فلا ينسى أحدنا عمق تلك المهاوى التي تجتازها الفتاة الفقيرة لتعرض في نفسها نزع التقليد العمياء ، ومع ذلك كيف نلومها إذا تشبهت بصاحبها الغنية ، وإن كانت قد دفعت الثمن غاليا ؟ ... أليس الطفل دائما يقتدى بالكبار ؟ ومن على الأرض ينفو لرؤية ما في السماء .

أما من جهة ضعف أخلاق الكثير من شبابنا فليس أدل عليه من تسكعهم طول النهار أمام المقاهي ، وطول الليل أمام الصالات الحفيرة ودور اللهو . وابكاهم على الحمر والمذاذات .

كل تلك أدلة ملموسة على ضعف الأخلاق واندثارها في أغلبية أبناء وبنات الجيل الجديد مما جعل بيتنا المصري لا يستقيم له عماد حتى الآن .

أليست هي الأم المدللة ، الضعيفة الأخلاق هي التي تخرج لنا هؤلاء الحشرات إلى قلب المجتمع ليوثون وطينتنا ، أليست هي الأم التي ترك لها زوجها الحليل على القرب هي التي تشجع ابنتها الغرة على إساءة استعمال حريتها فيما يعين لها من المساوئ متشبهة بها في كل ما تسمع ولا ترى ، وهي التي تقدم لها بطريق مباشر أو غير مباشر السجائر ، وتحشها على الخلاصة ومعاذبة الشبان بحجة البحث عن الزوج المنشود ، والفتاة حائرة مضطربة ، تعطى كلا من قلبها جانباً حتى تجد ذلك للبلط الحيالى الذى يمكنه أن يسعد فتاة مثلها لها من التجارب ماله ، ولا حاجة بي إلى القول بأن تلك الفتاة لا يمكن أن تكون زوجة صالحة تحافظ على كيان أسرتها وتفيد وطنها .

كذلك أليست الأم الجبانة الرعيدة التي تركها زوجها تعيش في محيط جهلها ، دون أى جهد منه في تمية مداركها وتهذيبها ، هي التي تولول وتملأ الدنيا عويلا وصياحا ، ثم تقيم الدنيا وتقعدها عند ما يطالب منها الوطن فها هو الذى تركه في ذمتها طفلا كي يسترده رجلا ؟

هذبوا أخلاق المرأة أولا . عودوها على استغلال حريتها في حدود الكرامة والشرف ، وفيما يعود عليها وعلى وطنها بالرفعة والرق ، دعوها تعيش في محيط من النور يريها حدود وظيفتها الانسانية السامية في الحياة . ثم انتظروا منها رجالا بواسلا يفخر بهم الوطن وفتيات صالحات يسمو بهن المجتمع وتستقيم نواحي الاعوجاج فيه .

ومن أهم واجبات المرأة الكاملة نحو وطنها ، أن تثبت في نفوس النشأ روح الشجاعة الأدبية وحب التضحية في سبيل الوطن ، كي يشبوا شجعانا لا يهوقهم عائق عن أداء واجباتهم . كما يجب عليها أن تسير بكل من الفتى والفتاة إلى الطريق الذي خلق له كل منهما والذي يجب أن يسيرا فيه ليشب كل منهما ملما بحقوقه متشبعا بواجباته .

يجب عليها أن تكون شجاعة في تأدية واجبها نحو أولادها فتبتعد بهم عما يلوث نفوسهم البريئة من مظاهر الحياة الكاذبة ، كما تقتصد في إبداء حنانها لهم ثلثا تعودهم التدلل والخنوع . وهذا أخطر مرض نفسياني يصاب به الأطفال ؛ ولا يمكن لأطفال هذا شأنهم أن يكونوا رجالا كما ينبغي أن يكون عليه الرجال .

وأرجو ألا يكون مفهوما بأني أدعو إلى ضربهم أو إيذائهم ، فإن هذا ولاشت أفظع عاقبة من التدلل ، إذ يخلق منهم رجالا ضعافا جبنا ، يخيفهم القول ، ويهزمهم النعيد ... فني استطاعة المرأة القوية الروح أن تفيض على أطفالها من روحها قوة وعزما وأن تثبت من مبادئها القويمة ، حب الخير في نفوسهم ، وأن تربيهم بأعمالها وحبها لوطنها وحماستها في سبيل واجبها ما يدعهم يقتدون بها ويتشبهون بوطنيتها وشجاعتها غير جهد منها . أو عناء .

ومن أهم ما يجب عليها الاهتمام به الابتعاد بهم عن قراءة الروايات السقيمة ، وسماع الأغاني "ترخيصة المبتذلة المائعة التي شاعت هذه الأيام والتي تشكر لوزارة الشؤون الاجتماعية العناية بحاربها ، كما تمنعهم منها باتا من مشاهدة ماتضمه دور للهو والمصالات العامة عندنا في مصر من المخازي والتبثك والاستهتار .

فاذا أمكن للمرأة المصرية أن تقوم بهذا الواجب المقدس بدقة وأمانة لارتقى دون شك مستوى أسرتها المصرية ولما تفشت فيها روح الهدم والانحلال .

وإذا كنت قد وجهت معظم حديثي للمرأة ، فإن الرجل وهو محور العائلة هو في الواقع حجر الزاوية في بناء البيت وعليه هايته من التهم ، فكما أن الزوجة مسئولة عن أخلاق أولادها ، فالزوج مسئول عن أخلاق زوجته التي تربي هؤلاء الأولاد .

ومن أول واجباته نحو أسرته ، أن يفهم جيدا مسؤولية الزواج ، فيغير من منهاج حياته القديم حيث كان لا هم له إلا الأكل واللهو والنوم فيهجر داء المقاهى ويحرص على كل دقيقة من وقته فلا يضيعها فى غير موضعها وينظر الى البيت نظرة تديس واحترام وكأنه اللجنة الموعودة على الأرض. وأن زوجته هى ملاك تلك اللجنة ، فيعطيها كل رعايته واهتمامه يشركها معه فى مطالعاته والجديد من معلوماته ، ويعكف على تلقينها بالعظيم من مبادئه ويقوم نواحى الاعوجاج فيها ، ولا يدعها تختلط بغير الفضليات من الآنسات والسيدات ، ويحثها دائما على قضاء وقت فراغها فى خدمة المجتمع وعمل الخير ، ويعلمها كيف تستغل حريتها كامرأة فاضلة صالحة لأسرتها ووطنها وأن تركز حياتها لهذا الوطن بأن تخرج له ثمرة رقى المرأة ومعرفتها وثقافتها ، وأن تظهر للعالم بأن فى يدها الصغيرة مفتاح سعادة الأسرة المصرية ودعامتها .



ويا حبذا لو أضافت وزارة الشؤون الاجتماعية يدا جديدة إلى أيديها البيضاء ، بأن تنشئ فى مدرسة الخدمة الاجتماعية قسما خاصا برقى الأسرة المصرية وتدعم البيت المصرى ، وأن تسمح فيه للمتقنين من الأزواج والزوجات بالبحث فى مسألة الأسرة المصرية والعمل على درء ما يهددها دائما من تهديم وانهار ، وليكن هذا القسم باسم (قسم الثقافة الزوجية) مثلا ، وهذا دون شك سيكون له شأن كبير فى دعم بناء الأسرة وخدمة المجتمع .

زينب محمد حسين

ليس التصوف أن يلاقيك الفتى وعليه من لبس المجوس مرقع
بطرائق سود وبيض لفتت وكأنه فيه غراب أبقع

بين الترحمان وعشش القروء بقلم الأستاذ محمد عبد الكريم

كنت في السابعة من عمرى حين سمعت من جدى الحديث التالى :

” منذ ثلاثين سنة ، تفشى بالبلد وباء شديد يعرفه العامة بالشوطة ، ويؤرخ المعمرون اليوم حوادثهم بتلك الشوطة التى فكتك بالكثيرين وحصدت بمنجلها أرواح عشرات الألوف من الأهلى ، وكان الوباء إذا دخل البيت أتى على كل من فيه ثم لا يلبث أن يمتد الى جاره امتداد النار فى الهشيم حتى ضاق بالناس وقهم عن إقامة المآتم وتبادل العزاء ، وشغلت الجثث لكثرتها كل حذاء . وقد وجد البلاء فى بولاق مرتعا خصيبا ، فكنت لا أسمع فى بيوتها غير صراخ يحاوبه صراخ ، ولا تشهد إلا جنازات تتبع جذرات “ .

وتابع جدى حديثه فقال ” وكانت أشد المناطق تأثرا بالوباء هى منطقة الترحمان لكثرة أهلها وسوء تنظيم مبانيها ، حتى رأينا الناس هناك يعمدون الى عربات النقل يكدمون عليها جنث موتاهم ، فرأيت إذ كنت عمدة لبولاق ألا تخفف لهذه البلوى غير عمل حازم لتطهير الحى ، وسارعت الى ولاية الأمور أشير عليهم بعزل سكان منطقتي الترحمان وسوق العصر ، والمبادرة بهدم عششهم وإحراق مخلفاتها مع ما يوحد بها من أسماط وسقط متاع “

واستطرد شيخنا فى حديثه فقال ” وقد وجد رأيى ترجيا من الإدارة ومن رجال الصحة بفحمت الفعلة وقتنا بهدم العشش بعد أن أخرجنا الأحياء منها ، وكدنا أخشاب الأكواخ وما حوت من فرش وأسماط ، أكواما فوق أكوام ، ثم أشعلنا النار وبها بين بكاء وعويل أصحابها الذين باتوا رجالا ونساء فى العراء وفى معزل عن الأهلى .

واستوى جدنا على مقعده ثم قل ” مدت عقب هذا الحادث إلى دارى فقابنى هناك الشيخ رمضان وهو ولى يقوم ضريحه اليوم بمسجد بى العلاء ، وكان الشيخ رمضان عندى بمحلة المعلم والوالد وما إن رآنى حتى انهمال على تعنيفا وتأنيدا على ما فعلت وأندرنى بانتقام من الله شديد “ .

وزفر محدثنا زفرة عميقة ثم عاد يقول : ” ولم يكذ الشيخ رمضان ببرح ببقى حتى شعرت بالحقى تدب فى جسدى فلزمت فراشى ولم أقم منه إلا فاقد البصر . تخليت عن عملى وعكفت على ” العبادة والدين أدرسه على كبير بالأزهر وألقنه العامة بمسجد الواسطى الذى أفتته بالحقى ليكون معزى وخلوقى وكل ما أرجوه أن يغفر لى ربى ما اقترفت فى حق أبناء الترحمان “ .

انتهى جدى الشيخ ابراهيم غالى من حديثه وكانت غايته أن ينهانا نحن أبناءه وأحفاده حتى لا يصيبنا ما أصابه ، ومضت السنون ونحن لا نرى فيما أقدم عليه جدنا إلا قسوة لا تعدها

غير قسوة يرون وطفيان فرعون حتى شئت الأيام أن أحمل أمانة الكتابة في هذه الصحيفة أحاول فيما أمال الكشف عن خفايا البلد وخباياه، فكان لزاما على أن أجوب الترجمان حارة حارة ودربا دربا حتى اذا اتهمت جولتي خرجت أترحم على جدى وأكبر فيه ما فعل ، وأتمنى لو أتيح لى ما أتيح له ، وأصحبك فى جولة تشاهد فيها جانبا مما شاهدت .

فهناك غربى بنائى سوق الفاكهة ومصلحة التليفونات وعندما تقي أكبر شارعين فى العاصمة شارع فؤاد الأول وشارع الملكة نازلى تطلع بولاق بأسوأ أحيائها . الترجمان وسوق العصر وعشش القروء وأكوخ القلاية .

سوق العصر وعشش الترجمان :

أما سوق العصر فهو كما تدل عليه تسميته مكان يروج فيه البيع والشراء ، أما ماذا يباع به وما الذى يشتريه الناس منه فهذا ما يحسن تفصيله لغرابته ، . . ذلك بأن بضاعة السوق تقوم على سلع ثلاث : الأول وهى أهمها ” الغسيل والأكلية والملابس والأحذية والمفاتيح وأغطية الجارى وأجزاء السيارات والدراجات يجدها ” سائر معروضة أمام واجهات الحوانيت هناك كل مصفوف على قطع من الخيش أو الحصىر أو محمول على أكثاف المتادين والدلالين . وثالثه الأثاثى هى تجارة الفتيات من مخلفات الجيش أو نقاض القمامة أو أعقاب السجائر وبقايا التبنج ” التبنك “ والشاى الذى سبق استعماله بالمقاهى والقوافير الفارغة . وهناك بضاعة لها مكانها فى السوق هى الخبز الجلف مما يأتى به المتسولون ويبيعونه النوتية وأصحاب حانات الجمعة ”البوظة “ .

فإذا تركت واجهة الحى ودلقت إلى داخله ألقيت نفسك فى طريق ضيقه لا تكاد تقوى على السير فيها لقدارتها وانك لتخطو فيها خطوات معدودات حتى تجدك فى بيئة غريبة اختلط فيها الإنسان بالحيوان ، ففيها العنزات والحمر وفيها أوجار القردة كل قرد جوار عشة صاحبه . هذه يا صاحبي مساكن المشتغلين بترويض القردة أو كما يسمونها ”عشش القروء“ . وقد يكون من المضحكات فى مجال لا نجد فيه غير المبكات أن نشرك القارئ بعض ما رأينا فى ذلك الحى العجيب . . فقد عن لى أن أدخل إحدى تلك العشش فإذا بصاحبها مشغول بإعطاء الدرس ، . . واستأذنت الأستاذ أن يقبلنى مستمعا بين تلاميذه فلم يخل الرجل بعلمه أن يبذل لقاء ما مددته إليه من الرسوم .

دخلت ”الحاصل “ والحاصل هو القاعة الكبرى فى تلك البيوت ، دخلته فرأيت فى تلك القاعة قاعة المحاضرات أربعة من الطلبة التجباء ، أما أولهم بلحش وثانيهم قرد وثالثهم كلبهم وقد أبى صاحبها إلا أن يطبق النظم الجماعية كاملة فلم يحرم الفصل من آتسة لطيفة هى عتة ظريفة ترين الجمع وثبت احترام مبدأ اختلاط الجنسين ! !

بدأ المدرس وكل طالب جلث في ركن من أركان القاعة ، وكان الموضوع في تعليم للقرود
"التحية باليد" ورغمما عن المادة ٨٨ من قانون نظام المدارس فقد كانت العصا هي وسيلة
الإيضاح الفريدة، والضرب هو الأسلوب الموحيد لإدخال الفكرة في أذهان الطلبة الأذكياء .

واستهل الأستاذ درسه القيم بضرب الحمار آمرا إيذه بعمل إشارة السلام . . . فلم يفعل
وإذا استحال على الحمار أن يفهم ما يريد صاحبه وأن يرفع حافره بالسلام ضربه ثانية ثم انتقل
الأستاذ إلى العترة فلم تكن أذكي من زميلها فتبعها بالكاب وانمال عليه بالضرب الموجه دون
أن يصل معه الى نتيجة وكان الرجل حين يضرب الحيوان باليدين يرفع يساره بالسلام حتى اذا
انتهى إلى القرود رأينا ذلك الحيوان الذكي يقف على قدميه رافعا يده بالتحية وهو شاخص
ببصره إلى عصا أستاذه التي تعلم مما فعلت بغيره غاية الرجل وما يطلبه . . .

والمشتغلون بالترويض فئة بأئسة تعمل عملا فيه ترويح لنفوس الناس، وإذا كان
بعضهم يضطره فقره الى سلوك مسلك غير شريف بتدريبه القرود على النشل إلا أن أكثرهم
هم وحيواناتهم خيقلون بكل عطف وإحسان .

في جامايكا الترجمان :

وإذا كانت حانة جامايكا كما يصورها الروائيون من أعجب الخانات فيس أنسب من
أن نسمى قهوة "المعلم حموده حمص الوطنية" بجامايكا الترجمان .

عرجنا على المقهى إذ أنهكنا التجول وأضنانا السير ، وقدمنى رفيق المعلم "عبدربه"
إلى إخوانه باسم الأسطى عبده السواق "مهاجر استنجريه وجدع نجبوح وإنسان..." .
وأردت أن أثبت أنى قد القول فأخبرت الجماعة بأن عليهم الطلب علينا الحساب .

وأقبلت على القوم أحدثهم بأسلوبهم عن الإسكندرية والغارات التي شهدناها بها ،
وأستمع بدورى إلى أحاديثهم التي تعطينا صورة صادقة لعقلياتهم ونفسياتهم ، فقد تناولنا
من الحديث عشرات الموضوعات دون أن تتم موضوعا واحدا ، بينما يسألك الواحد عن
الحرب ومتى تنتهى يعلق الثانى على سؤاله بأن مولد اسماعيل الأمبابى يأتى قبل مولد أبى العلاء
ثم يتفرد ثالث فى غير مناسبة ليفعمر لك سر تسمية العاصمة بالقاهرة ويرجعه إلى أنها قهرت
الدول ، قهرتهم ونكدت عليهم .

وقد أوقفنى ما سمعته على بعض ما يقوم عليه "نقوم" فهؤلاء جماعة من الصعايدة من باعة
الفاكهة الجائلين يتحدثون مباهين بالكواملة الدين ينتسون اليهم . يجاورهم جماعة من الجبازين
من العدويه أبناء بنى عديبات يتكلمون عن الخلط ووزن الخبز وما فعلوه مع الواد "لافندى"
بتاع التموين ، وهناك على بعد مناقشة حادة يتطاول إلى سمعك بعض صاراتها .

خرجنا من المقهى في طريق العودة إلى شارع فؤاد الأول مارين بالقلاية ثم بالمحمرة .
سرتاني الحواري أوكا يسمونها العوات تعاوننا . اجتاذ الطريق وتبسط بأرجلنا وهادها
ونحن في طريقنا لا نجد إلا قذارة ، وشاء لساني أن ينمك من عقاله فأبدى تأففى مما آذى
بصرى وحسب أنفاسى ، وما إن سمع عدد ربه نقدى حتى انقلب على وثار فى وجهى صائحاً
”وساحة إيه يا أسطى عبده ولما حتننا وسخه جاى تسكن فيها إيه هنا حاجة مملكة . ها أحسن
من استجريه“ . ولم أجد بدا من الانسحاب وحدى تاركاً الميدان لابن القلاية وربيب الترجمان .

أضرار وأخطار :

تضم المناطق التى جلونا أمرها فى هذا المقال نيفا وسبعين ألف نسمة وقد بينا فيما
أسلفنا كيف يعيش القوم وعلى ما يقيمون .

ليست المشكلة التى يعالج مشكلة حي ولا أحياء ، بل هى مشكلة جمهور كبير من الشعب ، سكنه
وعيشه وصحته ، نعهد لعرضها بهذه الجولات لتكون أقرب إلى الحس وأوحى إلى التأنيروالفهم .

السكن رمز لا يخدع لمستوى الشعب :

يقول مريت بك بطرس غالى فى كتابه ”سياسة الغد“ : ”إن السكن هو العنصر الأساسى
فى معيشة الإنسان ، والعلامة الحقيقية على ثروة السكان ورخائهم . والرمز الذى لا يخدع
لمستوى الشعب الاجتماعى ، ودرجة حضارته القومية“ .

فقل لى بربك أى مستوى أو أية حضارة تلك التى يلمسها الأجنبي فى ديارنا وسكن مواطنينا ،
وما قيمة الدعاية نبذل فيها الكثير ، ومساكن الشعب وأحياءه على هذه الحال .

فتلك النعامة التى تخفى رأسها بين ”شبرد“ و ”الكونتيتال“ بين جسمها واضحا
كبيراً فى دروب البلد التى لا حصر لها .

قلنا غير مرة فى هذا المكان ، ونعود اليوم فنكرر ما قلناه بأن مصيبة السكن فى هذا
البلد وآفة تنظم أحيائه مرجعها فى الغالب أنى أمر واحد وسبب لا ثانى له هو نظام الحكر
الذى تؤجر بموجبه الأرض للبناء ، وقد ذكرنا أنه لا يربح لمشكلة السكن حل ما دام نظام
الحكر قائماً أو بعبارة أوضح ما دامت فوضى الحكر فاشية ، فلك الأحياء التى أطلقتك على ما فيها
تقوم كلها على أرض محكرة ، فالترجمان حكر لوزارة الأوقاف ، وحى القلاية حكر لبطريكية
الأقباط ويتقاضى وقف الترجمان من صاحب البناء قرشا كل شهر عن المتر المربع أما
البطريكية فتفرض على المالك ثمانية مديات لآل فى الشهر ، وما دامت الأرض ملكاً لغير
البانى فلا سبيل ولا أمل فى أن نرى غير النعش والأكوخ .

وفي مقالنا "على ضفاف النيل" عرضنا لمشكلة الحكم وقدمنا بين يدي ولاية الأمور حلها هيئا ميسورا ، وما أيسر الأدواء تعالج بما لا يمس الخزانة ولا يرهق الميزانية ، فما على الحكومة الا أن تصدر تشريعا تحرم به البناء في الأراضي المؤجرة أو بعبارة أخرى تمنح بجرة قلم فوضى الحكم وترخ البلد من شروره .

أما المباني القائمة الآن بالأراضي المحركة فإننا نرى أن تؤول لجنة من ممثلين لمصالح الأملاك والتنظيم والمساحة ومندوبين من وزارة الأوقاف والصحة والشؤون الاجتماعية لتقدير أثمانها وتحديد مساحات مواقعها وأعداد السبل لإبدائها بما يعادل قيمتها بأملاك الدولة في أطراف المدينة عند الجبل الأحمر أو في أبي زعبل حيث أقيمت نواة مدينة العمال الجديدة حيث تقيم الأوقاف بمعونة الحكومة وإشرافها مساكن للفقراء ، مساكن صحية في شوارع منظمة تؤجر الى الأهالي بأجور زهيدة على ألا يهدم القديم الا بعد بناء الجديد .

وقد يحسب البعض أن مشروعا كهذا سوف يكلف الخزانة مبالغ لا قبل لها باحتمالها وخاصة في مثل ظروفنا الحاضرة ، والواقع أن الحكومة لن تتكبد في هذا إلا التذرع اليسير . ذلك لأن الأراضي المحركة في بولاق سواء في داخل الحى أو على ضفاف النيل كلها ذات موقع ممتاز فهي تجاور أكبر شارعين في العاصمة فؤاد الأول والملكة نازلى ولم يخسرها قدرها سوى فساد تنظيمها وسوء مبانيها ، فلو أن الحكومة استولت عليها وهدمتها لباعها بما لا يقل عن خمسة أضعاف الثمن الذى ستقدره لها . فإذا راعينا أنها لن تخرج هذا الثمن نقدا من خزنتها وإنما ستعطى به الأوقاف أرضا من أملاكها ، وجدنا أن في مقدورها أن تقوم بمشروع بناء أحياء جديدة بالتعاون مع وزارة الأوقاف التى ستولى استغلال تلك الأحياء لحسابها .

وقيمة أراضي بولاق وموقعها الممتاز لا يخفيان على أحد ، وقد سبق أن طلبت بعض الشركات العقارية بيعها المناطق التى أثمرنا إليها في هذا المقال ، ولكن عقد الوقف من جانب وترانى الأداة الحكومية من جانب آخر حالا دون إجابة هذا الطلب .

ثم ماذا . . .

ثم انهم يقولون إن بالبلد مشكلات ومشكلات كما يصفونها شائكات . . . هل آن لنا أن نجدد البالى ونقيم صدع الواحى . إنه ليسؤونا أن نفعل والعالم يعمل ، وأن نقف جامدين والقافلة تمسير .

محمد عبد الكريم

نشيد

دار كفالة الفتاة

نظم الاستاذ الصاوى على شعلان

مدرس الإصلاحات

تلحين الأستاذ محمد صلاح الدين

مفتش الموسيقى بالمعارف

دار الكفالة دارى روض كريم الثمار
بالصون فيها وقارى والعلم فيها منارى

فيها (المروءة) تسمو فيها جلال (العفاف)
روض (السعادة) ينمو فى (رحمة) وائتلاف
فيها (الأمل) يحيى القلوب
أعلى مثل بين الشعوب
نور الفكر فيها ونام
عيش الأمر فيها سلام

إن أنشأ الطير وكرا بين الربى والنسيم
فأليت نبينه قصرا يملوه صفو النعيم
صنع الطعام وشى الثياب
حسن النظام لتغير باب
بين الأبرر أوفى الكتاب
نرجو الثمر نجنى اللباب

مستقبل يتسامى للخير دنيا ودينا
نجيا بمصر كراما فى نهضة المصلحين
صوت الزمن يدعو الفتاة
نحو الوطن نحو الحياة
فى الاجتهاد نحى علاه
بالانتماء نرضى الإله

أهم الأمراض الاجتماعية

في العصر الحديث

لا ينسى 'ي' باحث في الأمراض الاجتماعية في العصر الحديث أن مصر بلاد زراعية وأن ثمانية 'عشار السكان من الفلاحين يعملون في الأرض لأنها مصدر رزقهم الأوحـد ، ونتيجة هذه الحقيقة الاجتماعية هي أن كبرى طبقات الشعب هي الفلاحون وهم بإجماع آراء الباحثين يعانون فقرا مدقعا مريعا . وقد بذلت الحكومة جهودا كبيرة في تحسين أحوالهم وإصلاح حياتهم وعلاج أمراضهم . ولكن الأسباب المتراكمة من أجيال طويلة لا تخضع للعلاج السريع ، ولا تثمر الثمرة المطلوبة في وقت قصير . وهذا أقوى عذر حيال الشكاوى المتكررة . فإن محصول الأرض في حاجة إلى الزيادة ، ولا العلل الصحية تجد ما يبق منها ويمنعها عن مهاجمة الفلاح لأنه لا يجد من الوسائل الصحية ما يحميه من شر الأمراض المتوطنة والدخيلة ، وكذلك معظمهم محرومون من التعليم والتدريب ، مع أن الذين يتعلمون منهم ويسيرون إلى آخر درجات التعليم ينعون نبوغا مدهشا ويثبتون بأعمالهم أنهم حليقون بكل عاية . وأي نفقة مهما كثرت فإنها تؤثر أكلها وتعقب فوائد سارة ثابتة وإن كانت ميزانية الدولة تضيق عن أن تأسع لإرضاء الكل في آن واحد .

وبجانب الفلاحين توجد طوائف العمال المتعطلين في المدن والعواصم وهم في حالة تستدعي العطف عليهم ، وفيهم المتعلمون تعليما كاملا أو ناقصا . ثم تأتي طائفة الموظفين وهؤلاء لا يمكن الاستغناء عنهم لازدياد مهام الدولة ولأن لوظائف 'نمنية والنظامية والخارجية عن الهداية لا زيادة فيها ولا سبيل لحذف شيء منها ، فتم يبق سوى الوظائف الإدارية والكتابية ، فهذه يمكن الاستغناء عن قسم منها عند ما يبلغ الموظف الزائد عن الحاجة سن الإحالة على المعاش . وهذا عمل يدل على التور والعدل لأنه يمكن من استخدام الذين لم ينفوا السن في الوظائف الجديدة التي يحتاجها الإصلاح .

وكل ناظر في إصلاح حال الفلاحين والعمال والموظفين لا يمكنه أن يغفل الحالة الاقتصادية العالمية ، فإن الأزمة بل الأزمات التي سببتها الحرب العالمية أدت إلى الكساد

والغلاء وفقد قيمة الحاجات لمبوط النقد وعدم وجود البضائع ، أو ارتفاع أثمانها ارتفاعاً مدهشاً . وقد عالجت الحكومة هذه الحالة بالتسعير الجبرى تخففت من وطأة الغلاء ومن أطاع المتجرين والمحتكرين الذين يريدون أن يصلوا إلى الثراء بأقرب طريق وأسرع فرصة . وقد تعطلت بسبب أزمات الحرب طوائف بأسرها كطائفة المعيار وفيما البناؤون والمقاولون والتجارون والحدادون وعمال الأسمنت المسلح والبياض والزجاج والبلاط والأثاث . وارتفعت أثمان بعض الحاجيات خصوصاً الحديد والخشب والأسمنت والزجاج ارتفاعاً فاحشاً ، كما ارتفعت أشياء بالتبعية كالصلب وغيره من المعادن تبعاً لارتفاع الذهب .

ولا يفوت عن ذهننا ونحن نعالج هذه الناحية المهمة أن الانتعاش الاقتصادى الذى حدث فى العالم قبل الحرب (سنة ١٩٣٨) مباشرة إنما كان سببه نجاح الصناعات ورواجها . ومصر وإن كانت دخلت مضمار الصناعة منذ ثلاثين أو أربعين عاماً إلا أنها لا تزال بلاداً زراعية عمدة معظم أهلها فى أرزاقهم ورواجهم إلى الزراعة ومشجات الأرض ، ولهذا لم يتلها من الانتعاش الاقتصادى الناشئ عن رواج الصناعات إلا جزء يسير . وقد زاد المال المتداول حتى بلغ خمسة وسبعين مليوناً من أوراق النقد وإن يكن فى سنة ١٩٣٨ لم يتجاوز عدة ملايين ولا يزال إيراد مكان مصر فى السنة مائة وثمانين مليوناً ينحصر الفرد منها حوالى أحد عشر جنيهاً فى العام ، بينما توجد بلاد صناعية تبلغ فيها حصة الفرد نحواً من مائة جنيه بقطع النظر عن الاختلاف فى عدد السكان أو مصدر الثروة ، فكأن مستوى الحياة عند الفرد المصرى لا يبلغ أكثر من عشر ما يبلغه عند الأمم القوية الناجحة . وإذا أضفنا إلى ذلك أن الواحد عشر جنيهاً لا تصيب كل فرد بانتظام ومساواة ، بل قد يبلغ ثلث السكان أو ربعهم معظم الإيراد فيحدث أن يكون إيراد أحدهم بضعة آلاف وبضعة ملايين يكون إيرادهم متراوحاً بين ثلاثة جنيهات أو أربعة ، وقد ينحدر إلى أقل من ذلك . ومن أهم مصادر الثروة فى بلاد أوروبا وبعض بلاد الشرق - كتركيا - ضريبة التراكات التى لم تفرز بالنجاح فى مصر إلى الآن مع أن التفكير قد شملها منذ بضع سنين ، وكانت خليفة بالعناية التى لحقت غيرها من الضرائب كضريبة التمغه . وضريبة ثالثة واجبة لفرض وهى الضريبة على الدخل ، وقد رأيت أن بريطانيا العظمى قد توسعت فى هذه الضريبة توسعاً مثيراً حتى صار أصحاب رؤوس الأموال والإيرادات الضخمة لا يستأون إلا على شلن وستة بنسات من الجنيه الواحد . وهذا شئ غريب بالطبع ، ولكن شذوذ حالة الحرب قد أدى إليه . نعم أن ضريبة التراكات

وضريبة الإيرادات تسوء كثيرا من الملاك وأصحاب رؤوس الأموال ، ولكنها في الوقت نفسه تشمل المصارف والشركات الكبرى التي استفادت فوائد جمة منذ عشرات السنين ، وليس من الصعب عليها أن تتحمل الآن بعض النفقات في سبيل معونة مصر . لأنه لولا مصر وأرض مصر وشعب مصر ما تمكنت تلك الشركات والمصارف أن تبيع الملايين العديدة في كل عام وتوزع على أعضائها إيرادات ضخمة ضخما وهم وراء البحار فيستمتعون بأطياب الحياة ، فلا بأس أن يدفعوا شيئا ولو من قبيل الزكاة عن حياتهم وأموالهم ، ولو طبقت الحكومة قانون شركات على بضعة نفر ممن توفوا في مصر في العشر سنوات الأخيرة لدخل إلى خزائنها عشرة ملايين من الجنيهات على أقل تقدير . وهو مبلغ لا يستهان به في تخفيف الأزمات الحالية .

ومنذ بضع سنين نشر الدكتور كليفلاند رئيس قسم الخدمة العامة بالجامعة الأمريكية بمصر كتابا اسمه سكان مصر وحل في المسألة الاقتصادية بالنسبة إلى المقيمين في وادي النيل وبالنظر إلى تكاثر النسل ، فإن سكان هذا وادي الذين كان عددهم عشرة ملايين منذ أربعين عاما صاروا الآن ثمانية عشر أو تسعة عشر مليونا (١٩٣٧) وهم في سنة ١٩٤٧ موعدهم التعداد المقبل سيبلغون عشرين أو اثنين وعشرين مليونا ، وحياة الأمم ليست كحياة الأفراد يجب أن يعمل حساب المستقبل فيها أكثر من عمل حساب الحاضر . فيجب تضاعف الأمة والحكومة على فتح أبواب العمل والرزق في وجه كل فرد من أفراد الأمة ، وإزالة العلو والمبالغة في الفوارق التي ينتج منها الاضطراب الاجتماعي وخلاف الطبقات بسبب اتراحم والتنازع . نعم إن التراحم والتناحر موجودان في الطبيعة والاجتماع . ولكن واجب قادة الأمم تخفيف وطأتهما ومقاومة الإغراق فيهما حفظا للوحدة وحرصا على حياة المجتمع .

وفي جميع الكتب المترلة حض وحث ونصح صريح بالتعاون والمساعدة . ففي القرآن الكريم يوصف من أحيا نفسا واحدة بأنه أحيا لفوس جميعا ، ومن قتل نفسا واحدة كأنه أمت انفسوم جميعا ، وكذلك جاء دين عيسى بالسماح والإحسان والصدقة والأخذ بيد الفقير والضعيف وأوصى بحسن معاملته اليتيم والأسائل . كما أوصى القرآن الكريم بعده بتسعة سنة . أما الدين الإسرائيلي ففيه نصوص صريحة على السنة أنبيائه وملوكه . انظر الى ما قاله سيدنا سليمان الحكيم الذي كان ملكا وقاضيا ونبيا وفيلسوفيا في مناجاة ربه بشجاعة مأثورة : "ثنتين

سألت منك فلا تمنعهما عنى قبل أن أموت : أبعد عنى الباطل والكذب ، لا تعطنى فقرا ولا غنى ، أطمعنى خبز فريقتى لثلا أشبع وأكفر وأقول من هو الرب ، أو لثلا أفقر وأسرق واتخذ اسم الله باطلا “ .

فهو يأبى الغنى الكثير لأنه يبطر الإنسان كما هو مشاهد بين ظهرائنا حتى إن أصحاب الغنى الكثير لم يسيطروا خصب ، بل أعرضوا عن حالة المجتمع بينما كان رجل إسرائيلى انجليزى هو المستر “ فىنى “ المتوفى أخيرا فى جنوب أفريقيا يتبرع للجمعيات الإسلامية فى الاسكندرية البلد الذى ولد فيه ورزق فيه رزقا واسعا بعشرات ألوف الجنيهات كما قيل عنه بلسان رئيس جمعية المواطنة الإسلامية .

ورجل أجنبى آخر هو المحسن الكبير المسيو تيودور كوتسيكا الذى لا يترك فرصة تمر إلا ويؤيد بآلاف الجنيهات فى سبيل الخير .

قيل إن الأزمة الاقتصادية تناب مصر فى كل سبع سنوات مرة ، وكان أولها فى العصر الحديث فى سنة ١٩٠٧ وقد امتدت هذه الأزمة إلى سنة ١٩١٤ عندما حدثت الحرب العالمية كان يسر ورخاء بسبب ابتعاد مصر عن ميادين القتال ، ثم بدأت أزمة فى سنة ١٩٢١ أكلت الأخضر واليابس وامتدت إلى سنة ١٩٢٨ ، ثم ضيق الخناق على مصر وكان من أهم أعراضها شىء جديد لم تره مصر من قبل وهو العطل عن العمل . وكانت بعض دول أوروبا قد اتخذت خططا لمحاربة العطل . وابتدأ ميزان الحياة يخل فى العالم لظهور مبادئ جديدة فى سياسة الحكم بين إثثار الفرد واستثثاره ، وكادت حرية الفرد تفنى بين المذهمين ، فالأعمال التى كانت حرية الفرد فيها مضمونة مكفولة أصابها علة العطل والكساد الصناعى والاقتصادى والممالك التى كانت فيها حرية الفرد منحوقة ، ضاع فيها مع حقوقه ضياعا تاما . وقد تأثرت مصر بالحالتين بسبب اتصالها المباشر والمستمر بالعالم الأوروبى والأمريكى ، ولأن الحالة الاقتصادية كالبحر الذى تلقى به وسط بركة ماء ليخلق موجات مستديرة ، تتسع حتى تصل إلى أقصى البركة ولا يحدها إلا الدفة أو الشاطئ . وكانت مصر داخل حدود هذه البركة أو البحيرة فامتدت إليها الأمواج .

وقد أثبت الباحثون العاملون أن الحالة الاقتصادية تعالج قبل استفحالها لثلا تصير داء مزمننا يستعصى على المصلحين علاجه . ومما لفت أنظار العالم منذ بضع سنين ، أن علة العطل لم تشمل أصحاب الصناعات اليدوية وحدهم ، بل شملت أصحاب الأعمال بمقولهم كال موظفين والموسيقين والمؤلفين والمحربين والمحامين والأطباء والمهندسين ، حتى بلغوا

في فرنسا وحدها عشرين ألفاً، أي حوالي النصف من مجموعهم، وبلغوا في بعض بلاد أوروبا الشرقية مائتي ألف من ستاية ألف ، أي الثلث كما هي الحال في فرنسا . وقد علمنا أن كثيراً من الأطباء في أنحاء العالم يعانون أحوالاً شديدة من العطل مع شدة الحاجة إليهم ، وذلك مع وفرة المرضى في كل مكان . وانتشار الأدوية والعلل بسبب الحياة الاجتماعية ، ولكن الأطباء المفردين قد تعطلوا بسبب مزاحمة العيادات المجانية التي لها إليها معظم الأهالي بسبب فعل الأزمة واستمرارها ، وفي كل من فرنسا وبريطانيا قوانين تلزم أهل الخط بعلاج مرضاهم ، والقرية بعلاج مرضاهم ، وصاحب العمل أو المصنع بمعونة عماله وأهلهم في حالات المرض بالعلاج وتوفير الأدوية والأغذية . ولكن في مصر لم تشرع أمثال هذه القوانين ولم تنفذ إلا في أحوال خاصة كالوحدات الصحية في القرى . وفي بعض المدارس ، وإن يكن أثرها غير ظاهر . وقد رأينا في مصر وفي أوروبا بعض المنتسبين لصناعة الطب يهتمون إن حقاً وإن باطلاً بالتساهل مع المدنيين في صرف تذكرة المخدرات باسم التداوى من التي كانت هي الداء .

ولا بد أن يكون للأزمة الطبية دخل في هذه المسألة الأليمة ، فإن الفاقة تدفع بالرجل الطبيب وصاحب العلم والفن لارتكاب المنكرات كما قال سيدنا سليمان الحكيم وهو كما قلنا ملك ونبي ، وملك سليمان يضرب به المثل في القرآن والتوراة ، فقد كان له سلطان ديني ودنيوي على الریح والجن والانس والحيوان . ومع كل ذلك النفوذ الهائل قال لربه في الحاجة : ” لا تفقرني فاسرق واتخذ اسم الله باطلاً “ وقال الامام علي كرم الله وجهه : ” لو كان افقر رجلاً لقتلته “ ومن دعوات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ” نعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر “

تشجيع الإنتاج العلمى والعقلى

محاضرة ألقاها من محطة الإذاعة اللاسلكية حضرة صاحب الفضيلة

الشيخ مصطفى الصاوى

حضرات المستمعين الكرام : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد فإني أستاذف الحديث إليكم في شأن يتصل بحياتنا والنهوض بها اتصالا وثيقا . ذلكم هو تشجيع الإنتاج العلمى والعقل . ذلك التشجيع الذى لا بد منه لحياة الإنسانية وسعادة البشرية . فإنا من شك فى أن نهضات الشعوب وارتقاء الأمم . وسعادة الدول ليست ميراثا يكتسب أو هبة تعطى . وإنما هى أفياء لحظها من العلم وما أوتيت من قسط فى الثقافات والمعارف ونتائج لما وهبت من العقل والإدراك . فعلى مقدار العقل والعلم تكون السعادة والنهوض ... ونحن كأمة نريد النهوض ونبغى الاعتلاء لا يتحقق لنا ما نهدف إليه من تلك الغايات النبيلة إلا من طريق العقل والعلم فلا بد من توفرهما لدينا وذلك لا يكون إلا بتشجيع العلم والعقل فى نفوس العلماء والعقلاء . وإلا فنحن قد قمنا بالخيبة والفشل وأصبحنا فى مدرجة الأيام أخلافا نبذتها الحياة . ولقاء طرحه التاريخ ...

سيداتي سادتي : يجدر بى وأنا أتحدث عن تشجيع العلماء أن آتى على الإمامة موجزة من تاريخ العلم والإنسانية لأبين مقدار الصلة بينهما أولا ولنعرف مقدار الفائدة التى جنتها الإنسانية من مصاحبتهما للعلم ، وشديد حاجة الإنسانية إلى العلم والعقل فأقول : تفتحت أعين الحياة على الإنسانية وليدة تحب إلى غير غاية وتضرب على غير هدى : تسير بين أشواق الطبيعة القاسية تنهض مرة وتكبو أخرى وهى فى كلتا حالتها تأخذ العبرة تلو العبرة . وكما امتد بها الزمن أفادت من ماضيها وحاضرها دستور مستقبلها . وناموس مآلها ... ثم أخذت تتوسل إلى مآربها المتكاثرة بشتى الوسائل حتى كانت حياتها بهذا الاعتبار جملة مناطق مختلفات . فمن منطقة العصر الحجري ، إلى البخارى ، والكهر بائى إلى هذا العصر الأخير . عصر الطيران والتلفزة والمدهشات من المخترعات : ألم يكن كل ذلك بالاستناد إلى العلم . وبارشاد ذلك العلم . العلم الذى تخضع الأشياء لقوانين أسسها إلى الإنسانية . فيها استطاعت تسخير الكائنات لإرادتها . فسيرت الجوارى فى البحر كالأعلام . والطائرات فى الجوانسورا قشاعم . والغائصات تحت شبح البحار حيثانا سباحات تطفو مرة وتغوص طورا مسترشدة

بقوانين العلم ونظمه . واغتصبت الجوامع مطوياته ، والأثير مكنوناته ، وانتزعت أسرار هذا وذلك بآلة تعرك أذننها فتبوح لها بما حملت من أسرار . ثم تدغدغ صدرها فتشركها مع مجالس الأنس والنعم الرخيم في مختلف الأقاليم النائية ، والمسافة بينهما آلاف الأميال . ولم تقف همة العلم عند هذا الحد بل طفر بالإنسانية في وثبة سريعة فتلفز لها ذلك حتى لقد أصبح الشرق يشهد محمده الغربي إذ يتحدث إليه كأنهما يجلس واحد . وما يدرينا ماذا سيطلع به العلم على الناس بعد من إنتاج .

حضرات المستمعين الكرام : بما ذكرت علم أن الإنسانية في جميع أطوارها كانت ترتكز على العقل وتسترشد بالعلم . ولهذا نجحت هذا النجاح البادى في كل مظاهرها . وأن العلم هو الذى تدرج بها في مدارج الارتقاء حتى أوصلها الذروة القصوى التى تنعم بها الآن . فمن مكنى الكهوف . واتخاذ المدى والسيوف من الأحجار وقطع شاسع المسافات سيرا على الأقدام الى مكنى القصور المؤسسة بالوثير . وامتناء القطر الضخمة . والسفن الضخمة والسيارات المطهمة . والظواهر التى تحدث السحاب واستطالات على الأثير . وشاركت الكواكب في أبراجها . ومن الاستضاءة بالذبالة إلى الكهرباء الشعاع . والمغنسيوم ذى النور الباهر والضوء المصاع ، وما كان ذلك كله إلا بفضل العلم وإرشاد العقل .

على ضوء ما سردت من فضل العقل والعلم على الإنسانية وما قدما للبشرية من عون وقيادتهما ليأكما في مهام الحياة الوعرة وتدرجهما بها في الإرشاد بالحكمة والموعظة الحسنة أعتقد أنكم قد قدرتم للعقل والعلم فضلا مشهورا وحيلا لا ينكر ، وهل هناك تقدير للعلم وتكريم له إلا بتكريم رسله ، وحامل لوائه وناشرى فضله ، وهل معنى هذا إلا تكريم العلماء وتقديرهم ، وهل لتكريمهم معنى سوى تشجيعهم بشتى أنواع التشجيع ، كي يتفرغوا للإنتاج النافع والابتكار المفيد ، وليطلعوا على الناس بإنتاج يعمل الإنسانية في رخاء من العيش . ومنفعة من السعادة الدائمة ويحيوا حياة مستقرة ثابتة . وذلك ما ندعو اليه وهو المعنى لنا بهذا الحديث .

إن العلماء هم قادة الأمم ، وهداة الشعوب ، وأئمة الإنسانية وحداة ركب البشرية ينكبونها وعز الطريق ويسلكون بها معبد السبل ويدفعون بها في حكمة حكيمة إلى الخلد دفعا . وهم (بارومتر) الإحساس الاجتماعى يشعرون بالمؤلم يتجه الى الشعب فيثوروا ، وهم نواقص الخطر تجلجل وتدوى حين يحسون الشر زاحفا على الإنسانية فينبهون الغافل ويوقظون الوسمان . فلهذا وجب تكريمهم وتشجيعهم كي يستمروا في أداء رسالتهم وينهضوا بتلك الإنسانية المتقاعسة ويدفعونها الى أرق مستوى تحت القبة الزرقاء ، ألم ترى إلى ركب جلت قدرته وقدرته بذكرهم في كتابه إذ يقول لنبيه عليه السلام (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَئِكَ) وإذ يقول (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) .

ساذق سىءانى - يؤسفى وأنا أتعءء عن فضل العلم وعظم رسالة العلماء أولى الأفكار الخالءاء اللى ءاءء على الإنسانىة بالءىر الوفىر أن أء كر طرفا من الوقائع اللى ءصلء بىن الإنسانىة والعلم . تلقى الضوء على ما كان ىحصل من الإساءاء المءكرة من الإنسانىة الى العلماء فى الوقت الذى كانوا فىه ءائىن على العمل لءىرها وإسعاءها، وكان أءرى بىهم أن ىكونوا لهم شاكرىن .

هءا السىء نوح نبى الله ورسوله بعء الى قوم مرضى بالأناىة والأثرة والءلل الاجءاعى والانعراف عن ءاءة الأخلاق الكرىمة فءعاهم الى فكرة إصلاء اجءماعىة ءىءل من بءائءهم أمة هائئة مءاضمة مءآزة ءوءء ربها وءسىر فى سبىل سعاءءها فى الءىائن فوضءوا أصابعهم فى آءانهم واستغشوا شىابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ... ثم افءنوا فى لىءائة ... وءىءروا منه فلم نفعه لك الأراءىف عن الاسءمرار فى ءعوة والعمل على نشر رسالءه ءءى آمن به عءء قبل وظلوا فى عناءهم وءمروءهم ءءى ءاء أمر الله وفارءنور وئرل السماء بماء منهمر فالءق الماء على أمر قء قءرء، ولم ىنىء من الطوفان إلا من آمن بنوح وركب السفىنة وءى ابن نوح كان المفرقىن .

وهءا السىء موسى بن عمران طلع على أمة نشأ فىها مرضء الءخاذل والانعسام وعباءة الأوءان وءمكئء منهم الأنانىة ولم ىعن أءء بشان أخىه فكانوا وءوشا ءصطوع فى ضراوة ءءى كانت الءىاة لءىهم ءءىما مسءعرا فلعنهم الله لعنة ءالءة وسبءل ذلك طلهم فى ءآابه إء ىقول

لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَءِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ
كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ
مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ) ولقء ءءءوا السىء موسى إء ىقولون له (لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ ءءى نَرَى اللَّهَ ءَهَرَّةً) وكان ءىرا لءولاء أن ىكونوا بموسى مؤمنىن ...

وهءا السىء عسى ابن مرىم ءعا قومىه الى العمل بفكرة ءهذىبىة روءىة هى ءمع الناس على مائءة الصفاء والونام والءساعء ، فكان منهم ءءءى والنفرة . وقابلوه بالسءط والإبءاء ءءى أنهم هموا بقتله ءفظله ءالقه الذى أرسله لهءائىهم ولىكون رءمة لهم فلم ىعن بىهم ولم ءمنعه عن نشر رسالءه ءلك الصىءاء الراعءة ولا زءجرة المزءرىن .

وهءا سىءنا مءء بن عبء الله . . ءاء الى الناس بءعوة ءوءىء ، وإءلال الفضىلة مءل الرذىلة والونام مكان الفرق والءصام ، والى مءو الفوارق بىن الناس لىءقق لهم

ديموقراطية اليسر والسعادة ، وإلى نشر السلام بين تلك الإنسانية المتباغضة المشجورة المحتفظة وتوجيهها إلى طريق الإخاء والتحرر من عادات الجاهلية التي جعلت الحياة وقتئذ نوعاً من القوضى المهلكة القتالة .

دعا الناس إلى معرفة خالقهم وتوحيده أولاً . ثم إلى إحسان الصلات بينهم وبين بعضهم ثانياً إحساناً يقطعون به مراحل الحياة الشاقة في طمأنينة واستقرار فومر لهم بالصلاة ووضوئها واستقبال القبلة فيها إلى تنظيم حياتهم بتطهير نفوسهم واتحاد قلوبهم ووجوب الأهداف في كل شأنهم وتحميم الاتحاد في جميع أمورهم ، وبالخير والطواف فيه والوقوف بعرفة إلى اتباع الآداب العامة أولاً وإلى توحيد الصفوف وجمع الكلمة ، وذلك لا يكون إلا بمؤتمر يضم شتىهم كالوقوف بعرفات ، وبالزكاة إلى وجوب تزيين العواطف وإرهاق الأحاسيس ، وبالصوم إلى التجرد وقوة الإرادة وضبط النفس وتحرى الموافقة في العهود والوعود والمواثيق . ذلك ليجعل من عصره كتلة واحدة متماسكة البليان متينة الأركان ، تعبد رباً واحداً وتستقبل قبلة واحدة وتهدف مجتمعة إلى غرض واحد ، تعتق الفضيلة ، وترك أدران الجاهلية الأولى ، فما كان من الإنسانية حينئذ إلا الإعراض والصد والتحدى . ولقد كذبوه في دعوى الرسالة والتزليل إذ قالوا عن القرآن مرة إنه سحر مبین وأخرى إنه أساطير الأولين . . وأوصى بعضهم بعضاً " لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون " . فما فتر كل ذلك من همته ، ولا أوهن من عزيمته بل استمر دائباً على دعوته حتى جعل من بدائد العرب وأخلاف التاريخ وشذاذ الأمم دولة فنية قوية الإيمان ذات دستور ونظام وملك عضود وذكر شرود .

سادتي سيداتي — سأترك أمر الأنبياء جانباً وأعرض على مسامعكم مثلاً أخرى مما لاقاه العلماء من العنت من الناس في الوقت الذي يحترقون فيه لإسعادهم .

ها هو ذا العالم البهائم الكبير . والطبيب الماهر (سرفينوس) قد أحرقه قومه لأنه شرح جثة ميت حار الطب في علاجه ليعرف سبب استعصاء ذلك الداء على العلاج . وها هي ذى الإنسانية التي حكمت بإحراقه ساعته تقرر الآن وجوب تدمر جثث الناس لأقل من نسبة ولأنتفه الأسباب .

وها هو ذا العالم الفلكي الكبير (جاليلو) ، قد قضى عليه بالسجن الدائم جزاء تقريره نظريته العلمية (إثبات دوران الأرض حول الشمس) وقد أصبحت تلك النظريات من المقررات المجمع عليها .

وقدّم لحضرتكم — سادتي — ذلك العالم الفلكي (لوفن هوك) مكتشف الجراثيم لمرضية فانه قد نعت بالجنون ، وعذب عذاباً شديداً لأنه حاول أن يثبت أن هناك عالمًا آخر هو عالم الميكروب ، وهذا هو المجهر (الميكروسكوب) يرينا هذا العالم رأى العين .

وما من واحد من هؤلاء العلماء إلا وقد قدم للإنسانية خيرا عظيما ، وإنتاجا مفيدا ، وما منهم من أحد إلا وقد لاقى عنتا شديدا وإحراجا مبيتا وعذابا أليما ، وما منهم من أحد عاقته تلك العقبات ، ولا أخرته عن النفوذ إلى غرضه تلك الصيحات . وهذا قليل من كثير من عبر التاريخ ، ولقد صدق الشاعر إذ يقول والجاهلون لأهل العلم أعداء . وفي المثل (ويل للعالم من الجاهل) . فلو أن الناس تركوا المواهب تعمل عملها والكفايات تؤتي ثمرها لارتقت الإنسانية في حضاراتها إلى أضعاف ما هي عليه الآن آلاف المرات ، ولكنه الجهل ولكنه الحقد ، ولكنه الحسد ، أمراض قد رانت على قلوب الناس فصمتهم وأعمت أبصارهم فلم ينفذ نور العرفان إلى قلوبهم ولم يبعد صوت الحق إلى أفئدتهم مبينا .

لقد بلغت عداوة الناس للعلم والعلماء حدا بعيدا . حدثنا التاريخ أن نقرا من الانجاز أوتوا مواهب ممتازة ، وفطروا على حب الإصلاح الاجتماعي قد أحسوا مرارة الحال في الشعب ورأوا المجتمع الإنجليزي عرضة لأمراض تنوشه من كل جانب ، ولم تكن الحكومة الزمنية يومئذ بعلاج تلك الحال ، فأنشأوا مدرسة أسموها المدرسة المستثمرة ، ظلت تعمل تلك المدرسة في خفاء لإنقاذ الشعب مما حاق به ولإسعاده وقتنا طويلا فانتجت إنتاجا عظيما .

لماذا تستر تلك المدرسة : ولماذا تعمل في خفاء ؟

ما كان استتارها واختفاؤها إلا خوف رجالها من التشريد والقتل والإهلاك . وما كان خوفهم ذلك احتفاظا بذواتهم وإبقاء على أنفسهم وإنما كانت حرصهم على إنتاج يفيد الشعب وعمل ينقذه ، فكان اختفاؤهم في الواقع إنما هو لإنقاذ الشعب الذي يتجه إليهم بالتعذيب والتشريد . فانظروا حضرات المستمعين إلى الاتجاهين ، وفرقوا بين العقليين ، واحكموا بعد ذلك بما تشاءون .

ما أعلنت تلك المدرسة عن وجودها إلا يوم أن بدأ ثمرها جثيا وعرفه الناس . وآمنوا بالفكرة وتبها الناس لقبولها وتولى الملك شارل الثاني الذي كان من أنصار العلم والعلماء .

كان من رجال تلك المدرسة (روبرت بويل) و (اسحاق نيوتن) و (لوفن هوك) وأمثال هؤلاء الأفاضل من أبطال العلم ورجال التاريخ . الذين كانوا للبشرية خير ملاذ ولا تزال الإنسانية تنعم بإنتاجهم إلى الآن .

إنك أيها السامع الكريم لو عرفت مقدار ما صدف هؤلاء من ازدراء العامة . وبخزية الخاصة ووقوف الحكومات الزمنية حينئذ في وجوههم موقف الصائد المانع والمتقم المعاقب .

ووعرفت أنهم كانوا في نظر شريعة ذلك الزمان من المجرمين الذين يستأهلون العقاب . ثم عرفت مقسداً اندفاعهم في العمل على تحقيق فكرهم . والعمل على إبرازها مهما لاقوا في سبيلها : لحكت حكماً حازماً بأن الغابرين منهم يجب تخييد ذكراهم على وجه الزمان وأن الحاضرين من أمثال أولئك العلماء يجب تشجيعهم بكل أنواع التشجيع .

أولئك هم الأبطال الذين آمنوا بفكرة نافعة ظنها الناس ستهواويل الخيال ومبالغاته فكان بينهم وبين الناس شقة خلاف واسعة فهولاء مؤمنون بقضيتهم وأولئك لا يعتقدون تحقيقها فكان هذا الحال المؤلم ، وتلك هي سجية البشرية وطبيعة الانسانية مع كل المصلحين الاجتماعيين :

لا يجهل أحد فضل باستور ومزايا مشجاته . ولا لهارس ورسائله وما صادفهما من عقبات وما تحمل في طريقهما من الآلام وكيف والعالم كله يتمتع بانتاجهما ويحيا حياة طيبة بسبب ما أتوا من جيل أودوا في سبيله .

ومالنا أيها السادة نذهب بعيداً ونضرب المثل بالأنبياء أولاً وبعلماء الغرب ثانياً . ولدينا في الشرق من المثل ما ينهض دليلاً على صحة مذهبنا إليه .

عندنا الأستاذ جمال الدين الأفغاني فقد كان داعية الى الخير مرشداً الى الإصلاح ومع هذا فقد كانت حياته سلسلة من الآلام متصلة الحلقات . وعندنا تلميذه لأستاذ لامام محمد عبده الذي فكر في إصلاح المجتمع الشرقي ، وفي وضع حياته على نظام صحيح سليم يستمد نظمته من تشرعات السماء قد رمى بالإلحاد والزندقة وحروب ربا شعراء . فاستقبلها سائراً وهزأ بقادتها . واندفع في إيمان واثق الى تحقيق غرضه ، وهانحن أولاء ننعم بانتاجه وعمرات أفكاره وبانتاج من خلفه أمام أمثال الأستاذ البشري والنواوي وعندنا المغفور له (سعد زغلول باشا) فكم جاهد وكأف وناضل يريد تكوين شعب مجيد ، وتأسيس دولة قوية على دعائم الأخلاق الكريمة وفضيلة القوة النفسية . وكما سعى جاهد ، قد لاقى في سبيل دعوته وإنفاذ فكرته من محاكيات ونفى وتشريد واعتقال ما لا يستطيع إنسان آخر أن يعمل ، ولكنه كان يستعذب هذا ويرى الهوان في سبيل إنفاذ شعبه أمراً لا بد منه . وظل يعمل حتى بلغ غايته وحققها للناس من استقلال وحرية وكرامة .

إن من ذكرت من أولئك الأبطال في مختلف العصور الذين عادهم الناس ولم يشجعهم قد قدموا للانسانية مع كل هذا إنتاجاً فكرياً أوصلها إلى ما هي عليه الآن من حضارة وعزة ومجد . أنذا شجعهم معاصروهم على تنفيذ أغراضهم ، ومساعدتهم على إبراز فكرهم كانوا يقفون عند هذا الحد ؟

والضحى والليل إذا سجي إنهم لو شجعوا بعض التشجيع أو لم توضع في سبيلهم العراقيل لانتجوا للبشرية إنتاجا يحول مجرى حياتها من هذا البؤس الذى نسميه حضارة إلى حياة أخرى هي خير مقاماً وأحسن ندياً .

لو شجع هؤلاء بعض التشجيع لا بتكروا للإنسانية وسائل تحوّل لنا أحجار الجبال ذهباً . والمياه في البحار لبنا مرياً . وفي الأنهار عسلاً مصفى ، ولبات الناس في رغد من العيش وعزة وسعادة في الحياة . ولما شهدنا البشرية تتطاحن هذا التطاحن فتسيل الدماء أنهاراً وتتكدس أشلاء الإنسانية عبر البحار والصحارى وملء القفار .

نحن أيها السادة لا نهدم في هذا العصر رجال التفكير ، ولا العلماء المبتكرين النوابه ، ولكنا نهدم تشجيعاً على الانتاج العلمى ، وعقلاً يدفعنا الى هذا التشجيع ، وفكراً يحثنا على التضامن الاجتماعى الذى لا بد منه لخيرنا وخير ما لنا ويدفعنا الى هذا التشجيع ، ولو أن القوم قد أخذوا العبرة من الماضى ، ومن سيرة من ذكرت من أبطال العلم ورجالاته ، ومن إنتاج أولئك ، ومن مزايا التشجيع وثمراته ، وعرفوا أن هذا تضامن اجتماعى تعود بركاته وخيراته على المجتمع الانسانى ، أقول لو عرفوا كل ذلك ليجنوا عن العلماء وشجعوهم تشجيعاً يدفعهم الى الاستمرار فى الانتاج الفكرى ، ولراينا اليوم نهضة مباركة ، والانسانية تنعم بأطيب حياة .

سادتى سيداتى : ليس تشجيع العلماء والمفكرين بهسير على شعب يريد النهوض ، وأمة تريد الاعتلاء والحياة الكريمة ، لأننا نستطيع أن نعرف مدى التضامن الاجتماعى وأثره وما يؤدى إليه من خيرات وبركات ، فإذا تحقق لنا هذا التضامن اندفع الناس تحت رايته الى البحث عن العلماء وتشجيعهم وتسهيل رسالتهم عليهم .

إن أمر التشجيع ميسور ، وفي متناول كل إنسان ، ولكن أين التوجيه الصحيح ؟ وأين التفكير في هذا التوجيه ؟ وأين النفوس التى آمنت بالتضامن الاجتماعى ووجوبه وفضائله ؟

عندنا أيها السادة كثير من الأغنياء قد اخترنوا أموالهم في المصارف والخزائن دون جدوى وآخرون يسرفون في الإنفاق فيما لا يفيد أو قد بضر ، فما يضير هؤلاء وأولئك لو تضامنوا مع العلماء والمفكرين تضامناً يدفع هؤلاء الى العون بالمال وأولئك الى الانتاج حيث تيسرت لهم وسائل الانتاج بالمال .

أكاد أومن أو أومن أننا لو كونا رابطة من المفكرين والعلماء ، ومن المثربين ومحبي الإصلاح على غرار رابطة الإصلاح الاجتماعى التى يحمل أواءها رجل الاجتماع محمد العشماوى بك

وانتهجت تلك الرابطة الى العمل العام بخير الشعب وصلاجه فقام الآخرون بتشجيع الأولين
لا نلبث أن نرى بغر السعادة وشيك البزوغ والآمال في السعادة محققة الوقوع .

ماذا علينا لو كونا رابطة من ذلك انطراز . وسارت سفيتها تشق ظلماء الحياة فتبدها
وترسل أضواءها فتتير السبل أمام هذا الشعب المتهالك المسكين وذلك أمر جد ميسور
لو خلصت النيات وتضافرت العزائم .

من هذا الطريق أيا السادة وصلت شعوب الغرب الى الفوق والرق والحياة الكريمة ،
ومن ذلك السبل وصلت الدول الى عزها ورفعها ، ومن طريق التشجيع في ظلال التضامن
الاجتماعي سادت شعوب كانت مستضعفة ، وارتقت ممالك كانت مبددة فتي تنجبه نحو هذا
التشجيع ونسير تحت راية العلم وإرشاد العلماء .

إن اليوم الذي يتحقق فيه هذا المعنى هو يوم ميلاد جديد لهذا الشعب يجب تخليده
واعتباره أكبر عيد له فتي تتحقق الآمال ؟ ما

من أشد عيوب الانسان خفاء عيوبه عليه ، فإن من خفى عليه عيبه خفيت عليه محاسن
غيره ، فلن يقع عن عيبه الذي لا يعرفه ولن ينال من محاسن غيره .

ابن المقفع

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظن أن الليث يهتم

المنبي

عجبت من شيخ ومن زهدة يذكر النار وأحوصها

يكره أن يشرب في فصة ويشرب الفضة ن نالها

حكيم

قصة اجتماعية :

في سبيل العيش

بصور لنا الكاتب في هذه القصة المستقاة من قلب المجتمع صورة
لرجل شريف النفس سدت أمامه أبواب الرزق الحلال وتوالت عليه
المصائب والنكبات ، فاندفع مضطرا إلى طريق الشرور ، ولكن ضميره الحى
وقسه الأبية استيقظا أخيرا وبعد أن فقد كل شئ .
وسرى عند ما تشبع القصة مقدار العبء الثقيل الذى تحمله النفس
الأبية بفضة الضمير .
المحرر

أقبل الصباح فتطايرت أسراب الحمام والعصافير تحيي النهار تحية البكور وتهته بمولده ،
وارتفعت الشمس قليلا قليلا وأرسلت من أشعتها خيوطا لينة دائئة حانية فوق الأطفال
والصبيان الذين نخرجوا من منازلهم مبكرين يرحلون وينفضون عن نفوسهم مخاوف الليل التى
اضمحلّت مع أحلامه السوداء ... فكانوا يترنمون بأغان ساذجة لطيفة تخرج من أفواههم
الصغيرة كزقزقة العصافير وتغريد البلابل ، وكانت أغانيهم خيرا ما يملكون اهداءه إلى موكب
الصبح الرائع .

كان اليوم عطلة ، بخلست في شرفة منزلى استنشق نسيم الصباح ، وأرقب الشارع وهو
يمتقبل الوافدين ، ويودع الراحلين . وكان بي شغف إلى استعراض بعض صور الحياة التى
تتوالى في الطريق طبيعية بغير كلفة ولا تزويق .

ومن أول الشارع ظهر رجل طويل القامة أقرب للهيكل العظمى منه للانسان ، تلمع
عيناه ببريق غريب لا نراه إلا في وجوه المجانين ، يرفع رأسه في كبرياء وأنفة ، يسير في الشارع
في خطى عسكرية منتظمة لا يشوبها إلا ردائه الوحيد الذى يستر بدنه ، والذي تعلن قذارته
عن لابسـه بما يلوح عليه من بقع وأوساخ... وكان يحمل في يده صندوقا خشبيا ولقافة .

وظل ذلك المخلوق بل ذلك الهيكل العظمى يسير في خطاه العسكرية . ظل يسير حتى حاذى
منزلى فانتابته نوبة من السعال الحاد جعلته يقترش الأرض ويضع حمله الخفيف إلى جانبه ..
ولما انتهت تلك النوبة هم ليقف فيستأنف السير ، ولكنه تردد وجلس ثانية جلسة مرتبة ، ثم
تناول صندوقه باحترام واضعا إياه أمامه وأخذ يفتحه بورقة من إحدى الجرائد القديمة ،

ويفضى اللقافة ليخرج منها قطعاً من الحلوى الصغيرة التى تباع للأطفال ، وكان يخرجها فى حذر خشية أن تتحطم بين أصابعه الخشنة الطويلة ، وظل يرتبها فى نظام راجحاً أن تستتف بتسويقها أظفار المارة .

ظل مدة منهمكا فى عمله ووجهه أخذ سمة الجحش شان رجال الأعمال عندما يباشرون مشاريعهم الهامة . فلما فرغ الرجل من عمله نظر الى البضاعة نظرة أخيرة ثم عن الرضى وفرك كفيه بعد أن خائس نفسه النظر وصفق ثم جلس مستبشراً ...

حانت منه لقته الى الأطفال اللاعبين حوله وهم يضعون بالضحك البريء ، فشاركهم صحكهم فى تطفل وإغراء حتى يوجه نظرهم اليه ... ولكن عبثاً . فقد ظل الأطفال عاكفين على لحوهم لا يحسون لهذا البائع وجوداً ...

وبعد ساعة أو ما يقربها رمقه طفل ، فرآه البائع وكأنما استنجد بنظريته ، فابتسم له وأوما إليه فأنامه الطفل متردداً ، وعندئذ انتق له البائع قطعة كبيرة من الحلوى وظل يغريه بها حتى أخرج الطفل مليماً واشترها ...

وكانما دأب الأمل صدر البائع فاعتدل فى جلسته وعاد اليه استبشاره وكانما فتح السوق ولا ريب أن الصلاء سينوافدون على الأثر...

ظل الناس فى غدو ورواح ، لا يخفون به ولا يهتمون لأمره كأنه قطعة مهملة من نقايات الحياة ...

وبعد لحظات مر به شاب متفخ الأوداج تبدو على وجهه دلائل العظمة والكبرياء ، ولما اقترب منه وقف قليلاً وأخرج من جيبه صلبة سيجار نفحة لم يكن بها إلا سيجار واحد أخرجه ، ووضع بين شفثيه ، ثم رمى بالعبلة الفارغة فى أنفة دون أن ياتفت ، فلطمت وجهه البائع المسكين واستقرت بجانبه .

أمرع البائع وأطبق بكليتا يديه على العبلة الفارغة وأحج مليحه الوحيد ووضع بدخلها كما يضع التاجر غلته فى خزانته .. وجس مستبشراً ... وانتصف النهار ... وانصرف أصحاب المحال التجارية كل الى منزله لتناول طعام الغداء والمسكين لم يزل فى جلسته المفضية ينتظر عساه يحد فى النصف الثانى من انهار ما يعوض مرارة انتظاره الأليم ولكن هيئات .. فقد ظلت المذاق تمر تمعقها الساعات وهو ينظر فى استجداء الى وجوه المارة متمسكة نظرة ... نظرة واحدة تشعره بأنهم يعترفون بوجوده كتاجر بعد أن يأس من وجود مشتر ، ولكن عشا ما حاول ...

رمى الحلوى التى أمامه بنظرة مكتئبة . . . فيخيل إليه أنها ليست متساوية ولذلك يعرض الجمهور عن شرائها . . . فعكف عليها ينسحقها من جديد ويقضم ما يراه زائداً في قطعها ويتقنى وتكثر تلك الزوائد كي يملأ بها بعض فراغ بطنه المستجيرة . . . ولكنه كبت رغبته أخيراً وتطلع إلى السوق مستبشراً . . .

تولى النهار . . . وغابت الشمس تماماً فغاب معها أمل الرجل . . . وتحطم ما بقي من قواه . . . ولم تلبث عيناه أن غامت بعروق كثيفة من الدماء القانيسة ودارت في محاجرهما كوحش هائج يريد أن يفترس كل ما يقربه . . . ولكن أين الضحية ! إنها الحلوى ولا شك . . . وبهد مرتعشة خائفة تناولها . ثم عركها بين يديه الكبيرتين وكاد أن يلقيها لولا أن تذكر معدته الفارغة ، فالتهمها في جنون ثم ركل الصندوق بقدمه . . . وتناول المليم من علبته . واشترى به سيجارة حقيرة وضعها في فمه في كبرياء . كما فعل صاحب عاية السجائر من قبل . . ثم مضى في الطريق حتى ابتاعه في أطوائه .

وتنهت إلى نفسى أخيراً من فرط الألم . . . فأمرعت إلى الطريق معولاً على ملاحقة ذاك المسكين ، وإعطائه ما تيسر . . . ولكن القدر القاسى كان قد وقف له بالمرصاد ، ففشلت كل محاولاتي في البحث عنه . . . وعدت إلى منزلى يائساً . . . وهكذا انتهى اليوم . . . وانطوى قلبي على مأساة صغيرة من مآسى الحياة الكثيرة المتتابعة .

ومضى على هذا اليوم ما يقرب من شهور ثلاثة وكان الوقت صيفاً شديداً القيظ ، جيمس الأنفاس حياً . . . ملتهباً حيناً آخر . . . وعلى الرغم من حلول المساء . . . فقد أخذت وطأة الحر تزداد حتى عولت أخيراً على مغادرة المنزل والالتجاء إلى إحدى محال المرطبات .

وفي الفيص الراكدة من الضيق والحر والناس . . . سرت وحيداً . . . اتلهى بمشاهدة كل ما يقع عليه نظرى ، ثم لا ألبث أن أبرم به . . . لا أهدأ . . . ولا أستقر .

وبينما أنا في طريق إذ وقع بصرى على بائع الحلوى جالساً في مقدمة حانة ، نادرة الزبائن قليلة الحركة . لأن الكحول والحر خصيان لا يتلفان ، وتقضيان لا يتفقان ، إلا في الجسد القوى المحتمل ، وإلا في الرأس الصلد العنيد . . . فكان معظم من فيها جلوساً بالقرب من بابها على مقاعد رخيصة يتناءبون ويروحون على وجوههم ، هاجعين أو كاهاجعين ، وبائع الحلوى يشاركهم تلك الجلوسة وهو يهقهقه في صوت مدو يلفت الأنظار .

كان يرتدى ثياباً نظيفة غالية لا تتفق في شيء مع ذلك المنظر البائس المكتئب الذى كان يشمله حين وقمت عليه عيني للمرة الأولى . . . واستجابة لحب الاستطلاع الذى ملك على عقلى وقتئذ ، عرجت على الحانة ودخلت .

رأيت المكان أشبه بقبر عتيق مهجور . على أنه كان رحيبا بعض الشيء ، منسعا لهذه الدنان التي تعج بأنواع الخجور ، ولبضعة موائد خشبية قذرة قد جلس إلى إحداها في ركن منزلة شابان زريا الهيئة ، فهتمت من أحدهما انهما من سائقى السيارات ، أحدهما طويل عملاق عمتقن الوجه ، والآخر هزيل فاجر العينين أصلع الرأس . وإلى المائدة التي تلى مائدتهم بواحدة . قبع شيخ طويل القامة ، أبيض الشعر على محياه شيء من الوقار ، يدخن غليونته الذى يحشوه من أن لآخر تبغ قوى ردى ، ويتمل بين الخين والخين غاصبا متقززا .

ومن السقف الخفيض يتدلى مصباح من بتول كان يريق على هؤلاء الأشباح نورا أحمر مسمما ، وينشر بينهم رائحة شديدة خائفة كان الحر الأليم يرداها أنفاسا من جهنم . وبالجملية كانت تلك الحانة كنتك البؤر التي يؤمها المجرمون .

جلست على أحد المقاعد القريبة من الباب ، بينما الفتان الجالسان فى الطرف الآخر ينظران إلى نظرة متفرسة ثم انصرفا عني ، ورشقى الشيخ بطرف عينه ثم إسندار بغير اهتمام . . . أما بائع الحلوى ، ذلك الذى اجتذبني إلى ذلك المكان القريب وهاج فضولى فقد أكرم وفادتي وصاح يحدثني وهو يشير إلى الشيخ وبصحك هاذرا . . . مرحبا أيها الفتى تعال . . . تعال . . . أتدرى ماذا كنت أحدث به هذا الشيخ المأفون قبل أن تدخل . . . كنت أدعوه إلى مائدتي ليشاركني شرابى المتواضع هذا فلوى وجهه عني واحتقرني ها ها ها . . . واستل يخاطب الشيخ . . . تعال تعال ياسيدى الأستاذ الززين . . . تعال ودع بعضا من وفارك هذا فبيست الخمر للشيخ الوقور المتهجم .

ونظرت إلى الأستاذ فرأيت شيخ بوجهه فى زراية واحتقار ويستدير على كفا على شرابه . وقال بائع الحلوى يخاطبني بعد أن سعل مرارا متواليات وبصق أمامه — إذن فقبل أنت يا بنى وأوتنى شرف قبولك دعوتى .

فقلت له نجيلا مثلما — كلا ياسيدى شكرا إنى طلبت شرابا مثلجا . فافتتح لهجتى المؤدبة ثم عاد يحدثني وهو يفرغ فى فمه القلح إثر القلح . وقال .

— سمعت هذا الخمار اللعين يسر فى أذنك شيئا . فذا قال لك بالله . إنى محنون أليس كذلك ها ها ها ها نعم . نعم محنون وإنى لأنفخ بمجنونى هذا ، لأنزع من ابنون يا بنى إنه شيء عذب وهادئ ، وإنه شيء وديع ووسل جدا ، أريد أن أقص عليك كيف جنتت ، أو كيف قيل عني ، بنى مجنون . . . وعاجله السعان فصرع الكلمة فى فمه . . .

و كنت أأمله مبهورا وأنا أكاد أتمزق من الألم . فقال يفاجئني بعد أن تخلص من سعاله الخفيف .

— انك تشفق على حين ترائي منكبا على الحمر برغم ذلك السعال الذي يمزق أحشائي . أليس كذلك . نعم ، لا أنكر ، وليس على في هذا من بأس يا بني ، فالحمر تقتل كل خوف في الإنسان ، أنا فقير ، فقير حتى العدم ، أريد أن أحدثك كيف أستطيع الحصول على ثمن الحمر ، وعلى هذه الملابس الغالية ؟ تريد أن تعرف ؟ إذن تعال واسمع قصتي . إنها تكاد تقتلني غير أنها مع هذا لذيدة ممتعة .

أنا من سلالة إحدى العائلات التركية القديمة . وقد توططت هذه المدينة منذ عشر سنوات أنا وزوجتي وأولادى ، أجيد اللغة التركية . بارع في العزف على العود . وكانت زوجتي رحمها الله جميلة فنية فقصت منذ ثلاثة أعوام وتركتني مع أولادى الستة .

ظللت أمتن تعليم اللغة التركية والعزف على العود مدة كبيرة ، ولكنني لم ألبث أن أصبحت بغير عمل ، فقد هرب التلاميذ لعدم حاجتهم إلى هذه اللغة ، وولى الآخرون بعد أن امتنعوا عن دفع الأجر الذى يدفعون به إلى .

واستبدت به نوبة من ضحك هادر مرعب وسعال شديد فقال فأسند رأسه على ذراعيه الممدودتين على المنضدة ولبث يعمل حتى خيل إلى أن أحشاه ستنب من فمه . ثم استلى وهو ينظر إلى مبتسما .

لقد بعث ساعتى ... ساعتى القديمة ، لأشترى بها خبزا لأولادى . وانتظرت . ولكن بدون جدوى فقد تحالف القدر على تحطيمى . الأولاد جياع . وأريد فارغة ، أتدرى ماذا صنعت بعد ذلك . لقد بعث أسنانى ، أسنانى الذهبية . بعثها جميعا واشتريت بها خبزا وإداما ، وخرس من منها اشتريت بثمنها حلوى لآبجر فيما . وكان هذا سهمى الأخير في حياة الشرف .

ولا أطيل عليك انقول يا بني فقد وجدت نفسى منساقا بالرغم منى إلى طريق الإحرام مضحيا بشرفى في سبيل الاحتفاظ بما بقى من أولادى الصغار .



ولم أطق الجلوس بعد ذلك في هذا المكان بعد أن تحالفت حرارة الجو وحرارة الألم على فهممت بالحرب منه . . . ولكنه قال يستيقظني في ضراعة تمزق القلب : انتظر لا تذهب ، انتظر بربك فقصتي لم تنته بعد . . .

ولكنني امتنعت عن البقاء بالذي قواى فقام مترنحا وخرج معى الى صاحب الخانة ...
 رمدت يدي أدفع الحساب ... فلم يترك لى سبيلا الى ما اريد ... وظل يصيح ...
 دعني أدفع ... هاك ... هاك نفوقا كثيرة ... تقود الكرامة المقتولة ... والقلب
 لمطمون وقذف الى الرجل بكل ما معه . وسحبني من يدي وخرج .
 وفي الشارع كان يميل ويتلخ ويسير على غير هدى فسألته عن سكنه وفي عزمي أن أتهى
 به إليه ولكنه لم يجب واستمر يحار ويصيح ويترنح ... ثم أمكنني أن أفهم من خلال
 حديره هذه الكلمات ...
 منزلى ... منزلى ... لم يبق لى منزل ... ولم يبق لى أولاد ... فقد فر الجميع
 انس والى حيث لا أعرف لهم مكانا ... وامتلاأت عيناه دموعا ثم قال .
 قد تشير على بالانتحار ... لا ... لا ... لأنه بشع مروع ... الانتحار ! ولام
 أقهر ؟ ... ها ها ها ها ...
 وكنت فى منتصف الطريق ... والترام مقبل سريع من بعيد ... فاستطرت هلما
 وصحت به الترام الترام تعالى بنا الى الرصيف ...
 فأنقاد الى حى عاد ، ولما حادثنا المجلة الرهبة الصدو ... رأيت يضحك فى حبال
 وحنى وينظر اليها بعينين هائلتين متقدتين ويتزع نفسه من قبضتي بقوة مجنونة ثم يثب اليها
 وهو يصيح ...
 أولادى ... شرفى ... ومر للترام بسرعة خاطفة مروعة ... فإذا هو هشيم من
 لحم ممزق ودم متفجر .

سمير

طبعت هذه المجلة بالمطبعة الأميرية ببولاق

فى يوم ٢١ من دى القعدة سنة ١٣٦١

الموافق ٣٠ من نوفمبر سنة ١٩٤٢ م

مدير المطبعة الأميرية

صحت بكبرى